التحفة العراقية

في

الأعمال القلبية

للشيخ الامام العلامة خاتمة السلف وقدوة الخلف شيخ
الاسلام أبي العباس تقي الدين احمد بن عبد الحليم
المشهور بابن تيمية المتوفي سنة ٧٢٨هجرية

عنيت بنشرها وتصحيحها ومقابلتها على أصولها الطبعة الأولى

إدارة الطباعة المنيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذبالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم*

أما بعد فهذه كلمات مختصرة فى أعمال القلوب التي تسمي المقامات والأحوال وهى من اصول الايمان وقواعد الدين مثل محبة الله ورسوله والتوكل على الله واخلاص الدين له والشكر له والصبر على حكمه والخوف منه والرجاء له وما يتبع ذلك اقتضى ذلك بعض من اوجب الله حقه من اهل الايمان واستكتبها وكل منا عجلان *

فأقول هذه الأعمال جميعها واجبة على جميع الخلق المأمورين في الاصل باتفاق ائمة الدين، والناس في هذا على ثلاث درجات كما هم في اعمال الأبدان على ثلاث درجات ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات فالظالم لنفسه العاصى بترك مأمور وفعل محظور . والمقتصد المؤدى الواجبات والتارك المحرمات . والسابق بالخيرات المتقرب بما يقدر عليه من واجب ومسنون والتارك للمحرم والمكروه وان كان كل من المقتصد والسابق قد يكون له ذنوب تمحى عنه بتوبة والله يحب التوابين ويحب المتطهرين. واما بحسنات ماحية واما بمصائب مكفرة واما بغير ذلك وكل

من الصنفين المقتصدين والسابقين من اولياء الله الذين ذكرهم في كتابه (ألا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون) فاولياء الله هم المؤمنون المتقون ولكن ذلك ينقسم الى عام وهم المقتصدون وخاص وهم السابقون وان كان السابقون هم أعلى درجات كالأنبياء والصديقين وقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم القسمين في الحديث الذى رواه البخارى فى صحيحه عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال «يقول الله من عادلى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وما تقرب الىّ عبدى بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتي احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التى يمشى بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه وما ترددت عن شيء انا فاعل ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولابد له منه» وأما الظالم لنفسه من اهل الايمان ففيه من ولاية الله بقدر ايمانه وتقواه كما معه من ضد ذلك بقدر فجوره. فالشخص الواحد قد يجتمع فيه الحسنات المقتضية للثواب والسيئات المقتضية للعقاب حتى يمكن ان يثاب ويعاقب وهذا قول اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وائمة الاسلام واهل السنة والجماعة الذين يقولون انه لايخلد في النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان . وأما القائلون بالتخليد كالخوارج والمعتزلة القائلون انه لايخرج من النار من دخلها من أهل القبلة وانه لاشفاعة للرسول ولا لغيره في اهل الكبائر لا قبل دخول النار ولا بعدها فعندهم لا يجتمع في الشخص الواحد ثواب

وعقاب وحسنات وسيئات بل من أثيب لا يعاقب ومن عوقب لم يثب ودلائل هذا الاصل من الكتاب والسنة واجماع الامة كثير ليس هذا موضعه قد بسطناه في موضعه. وينبني على هذا امور كثيرة ولهذا من كان معه ايمان حقيقي فلا بد ان يكون معه من هذه الأعمال بقدر ايمانه وان كان له ذنوب كما رواه البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه « ان رجلا كان يسمي حمارا وكان يضحك النبي صلى الله عليه وسلم وكان يشرب الخمر ويجلده النبي صلى الله عليه وسلم فاتي به مرة فقال رجل لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله » فهذا بين ان المذنب بالشراب وغيره قد يكون محبا لله ورسوله وحب الله ورسوله أوثق عرى الايمان كما ان العابد الزاهد قد يكون لما في قلبه من بدعة ونفاق مسخوطا عند الله ورسوله من ذلك الوجه كما استفاض في الصحاح وغيرها من حديث علي ابن أبي طالب وأبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه ذكر الخوارج فقال « تحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية اينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا عند الله لمن قتلهم لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد » وهؤلاء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع امير المؤمنين علي بن ابي طالب بامر النبي صلى الله عليه وسلم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم في الحديث الصحيح « تمرق مارقة على خير فرقة من المسلمين يقتلهم أدنى الطائفتين » ولهذا قال ائمة المسلمين كسفيان الثوري ان البدعة احب الى ابليس من

المعصية لان البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها. ومعنى قولهم ان البدعة لا يتاب منها ان المبتدع الذى يتخذ دينا لم يشرعه الله ورسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسنا فهو لا يتوب مادام يراه حسنا لان اول التوبة العلم بان فعله سيء ليتوب منه او انه ترك حسنا مأموراً به امرا ايجاب او امرا استحباب ليتوب ويفعله فما دام يرى فعله حسنا وهو سيء في نفس الأمر فانه لا يتوب ولكن التوبة ممكنة وواقعة بان يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف أهل البدع والضلال وهذا يكون بان يتبع من الحق ما علمه فمن عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم كما قال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم واشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا اجراً عظيماً ولهديناهم صراطا مستقيما) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به) وقال تعالى (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) وقال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) الآية . وشواهد هذا كثيرة في الكتاب والسنة . وكذلك من أعرض عن اتباع الحق الذى يعلمه تبعا لهواه فان ذلك يورثه الجهل والضلال حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح كما قال تعالى (فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم) الآية. وقال تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) وقال تعالى (وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وأبصارهم)

١ ـ محمد ١٧
٢ ـ النساء ٩٦
٣ ـ الحديد ٢٨
٤ ـ البقرة ٢٥٧
٥ ـ المائدة ١٥ ـ ١٦
٦ ـ الصف ٥
٧ ـ البقرة ١٠
٨ ـ الأنعام ١٠٩ ـ ١١٠

الآية وهذا استفهام نفي وانكار اى وما يدريكم انها اذا جاءت لايؤمنون وانا نقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة على قراءة من قرأ إنها بالكسر تكون جزما بانها اذا جاءت لايؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ولهذا قال من قال من السلف كسعيد بن جبير ان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وان من عقوبة السيئة السيئة بعدها. وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدي الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتي يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدق أصل يستلزم البر وان الكذب يستلزم الفجور . وقد قال تعالى (ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفى جحيم) ولهذا كان بعض المشائخ اذا امر متبعيه بالتوبة واحب ان لاينفر ويتعب قلبه أمره بالصدق. ولهذا يكثر فى كلام مشائخ الدين وائمته ذكر الصدق والاخلاص حتي يقولون قل لمن لايصدق لايتبعني ويقولون الصدق سيف الله في الارض ماوضع على شيء الاقطعه ويقول يوسف بن اسباط وغيره ماصدق الله عبد الاصنع له وأمثال هذا كثير. والصدق والاخلاص هما تحقيق الايمان والاسلام فان المظهرين الاسلام ينقسمون الى مؤمن ومنافق فالفارق بين المؤمن والمنافق هو الصدق كما في قوله (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) الى قوله (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم

١ - الانفطار ١٣
٢ - الحجرات ١٤

يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون[١]. وقال تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون[٢]) فأخبر ان الصادقين في دعوى الايمان هم المؤمنون الذين لم يتعقب ايمانهم به وجاهدوا في سبيله باموالهم وأنفسهم وذلك ان هذا هو العهد المأخوذ على الأولين والآخرين كما قال تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري[٣]) الاية. قال ابن عباس مابعث الله نبيا الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره ان يأخذ الميثاق على أمته ليؤمنن به ولينصرنه. وقال تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز[٤]) فذكر تعالى انه انزل الكتاب والميزان وانه انزل الحديد لاجل القيام بالقسط وليعلم الله من ينصره ورسله ولهذا كان قوام الدين بكتاب يهدي وسيف ينصر وكفى بربك هاديا ونصيرا والكتاب والحديد وان اشتركا في الانزال فلا يمنع ان يكون احدهما نزل من حيث لم ينزل الآخر من حيث نزل الكتاب من الله كما قال تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم[٥]) وقال تعالى (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير[٦]) وقال (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم[٧]) والحديد أنزل من الجبال التي يخلق فيها وكذلك وصف الصادقين في دعوى البر الذي

١ ـ الحجرات ١٥
٢ ـ الحشر ٨
٣ ـ آل عمران ٨١
٤ ـ الحديد ٢٥
٥ ـ الزمر ١
٦ ـ هود ١
٧ ـ النمل ٦

هو جماع الدين في قوله (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين[١]) الى قوله (أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) واما المنافقون فوصفهم بالكذب فى آيات متعددة كقوله (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون[٢]) وقوله (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون[٣]) وقال (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون[٤]) ونحو ذلك من القرآن كثير *

ومما ينبغى أن يعرف ان الصدق والتصديق يكون في الأقوال والاعمال كقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح « كتب على ابن آدم حظه من الزنا فهو مدرك ذلك لامحالة فالعينان تزنيان وزناهما النظر والاذنان تزنيان وزناهما السمع واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشى والقلب يتمنى ويشتهى والفرج يصدق ذلك ويكذبه» ويقال حملوا على العدو حملة صادقة اذا كان ارادتهم القتال ثابتة صادقة ويقال فلان صادق الحب والمودة ونحو ذلك . ولهذا يريد بالصادق الصادق في ارادته وقصده وطلبه وهو الصادق في عمله ويريدون الصادق في خبره وكلامه والمنافق ضد المؤمن الصادق وهو الذى يكون كاذبا فى خبره أو كاذبا فى عمله كالمرائى فى عمله . قال الله تعالى (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس[٥]) الآيتين *

وأما الاخلاص فهو حقيقة الاسلام اذ الاسلام هو الاستسلام

١ - البقرة ١٧٧
٢ - البقرة ١٠
٣ - المنافقون ١
٤ - التوبة ٧٧
٥ - النساء ١٤٢

لله لا لغيره كما قال تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان[1]) الآية . فمن لم يستسلم له فقد استكبر ومن استسلم لله ولغيره فقد أشرك وكل من الكبر والشرك ضد الاسلام والاسلام ضد الشرك والكبر . وذلك فى القرآن كثير . ولهذا كان الاسلام شهادة ان لا اله الا الله وهى متضمنة عبادة الله وحده وترك عبادة ماسواه وهو الاسلام العام الذى لا يقبل الله من أحد من الأولين والآخرين دينا سواه كما قال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين[2]) وقال (شهد الله انه لااله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط لااله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام[3])وهذا الذى ذكرنا مما يبين ان أصل الدين في الحقيقة هو الأمور الباطنة من العلوم والاعمال وان الاعمال الظاهرة لاتنفع بدونها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه احمد فى مسنده «الاسلام علانية والايمان في القلب» ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « الحلال بين وبين ذلك امور مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس فمن اتقي الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه الاوان لكل ملك حمي الاوان حمى الله محارمه الاوان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسدلها سائر الجسد وهى القلب» وعن ابى هريرة قال « القلب ملك والأعضاء جنوده فاذا طاب الملك طابت جنوده واذا خبث خبثت جنوده »

[1] الزمر ٢٩
[2] آل عمران ٨٥
[3] آل عمران ١٨ - ١٩

فصل

وهـذه الاعمال الباطنة كمحبة الله والاخلاص له والتوكل عليه والرضاعنه ونحو ذلك كلها مأمور بها فى حق الخاصة والعامة لا يكون تركها محمودا في حال واحـد وان ارتقى مقامه وأما الحزن فـلم يأمر الله به ولا رسـوله بل قد نهى عنه فى مواضع وان تعلق امر الدين به كقوله تعـالى (ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين[١]) وقوله (ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيـق مما يمكرون[٢]) وقوله (اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا[٣]) وقوله (ولا يحزنك قولهم[٤]) وقوله (لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم[٥]) وأمثال ذلك كثيرة . وذلك انه لايجلب منفعة ولا يدفع مضرة ولا فائدة فيه ومالافائدة فيه لايأمر الله به نعم لايأثم صاحبه اذا لم يقترن بحزنه محرم كما يحزن على المصائب كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « ان الله لا يؤاخذ على دمع العين ولا حزن القلب ولكن يؤاخذ على هذا ويرحم واشار بيده الى لسانه وقال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الامايرضى الرب » ومنه قوله تعالى (فتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) وقد يقترن بالحزن مايثاب صاحبه عليه ويحمـد عليه ويكون محمودا من تلك الجهة لا من جهة الحزن كالحزين على مصيبة في دينه وعلى مصائب المسلمين عموما فهذا يثاب على ما في قلبه من حب الخير وبغض الشر وتوابع ذلك ولكن الحزن على ذلك اذا أفضى الى ترك مأمور من الصبر والجهاد وجلب منفعة ودفع مضرة منهى عنها والا كان حسب صاحبه رفع الاثم عنه من

١ - آل عمران ١٣٩
٢ - النحل ١٢٧
٣ - التوبة ٤٠
٤ - يونس ٦٥
٥ - الحديد ٢٣

جهة الحزن واما ان افضى الى ضعف القلب واشتغاله به عن فعل ما امر الله ورسوله به كان مذموما عليه من تلك الجهة وان كان محمودا من جهة أخرى. واما المحبة والتوكل والاخلاص له ونحو ذلك فهذه كلها خير محض وهي حسنة محبوبة في حق كل النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ومن قال ان هـذه المقامات تكون للعامة دون الخاصة فقد غلط في ذلك ان اراد خروج الخـاصة عنها فان هذه لايخرج عنهـا مؤمن قط وانما يخرج عنها كافر ومنافق. وقد تكلم بعضهم بكلام بين غلط فيه (١) وانه تقصير في تحقيق هذه المقامات من مدة وليس هذا موضعه ولكن هذه المقامات ينقسم الناس فيها الى خصوص وعموم فللخاصة خاصها وللعامة عامهـا مثال ذلك ان هؤلاء قالوا ان التوكل مناضلة عن النفس في طلب القوت والخاص لايناضل عن نفسه وقالوا المتوكل يطلب بتوكله امرا من الامور والعارف يشهد الأمور بفروعهـا منهـا فلا يطلب شيئا فيقال اما الأول فان التوكل اعم من المتوكل في مصالح الدنيا فان المتوكل يتوكل على الله في صلاح قلبه ودينه وحفظ لسانه وارادته وهذا اهم الأمور اليه ولهذا يناجي ربه في كل صلاة بقوله (اياك نعبد واياك نستعين[١]) كمـا في قوله (فاعبـده وتوكل عليه[٢]) وقوله (عليـه توكلت واليه أنيب[٣]) فهو قد جمع بين العبادة والتوكل في عـدة مواضع لان هذين يجمعان الدين كله ولهذا قال من قال من السلف ان الله جمع الكتب المنزلة في القرآن وجمع علم القرآن في المفصل وجمـع علم المفصل في فاتحة الكتاب وجمع علم فاتحة الكتاب في قوله

١ ـ الفاتحة ٤
٢ ـ هود ١٢٣
٣ ـ هود ٨٨

(١) هكذا الاصل فليتأمل فيه والمعنى من حيث هو ظاهر

(اياك نعبد واياك نستعين) وهاتان الكلمتان الجامعتان اللتان للرب والعبد لما في الحديث الصحيح الذى في صحيح مسلم عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « يقول الله سبحانه قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين نصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدي ما سأل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدنى عبدى يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله اثنى على عبدى يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله مجدنى عبدى يقول العبد اياك نعبد واياك نستعين يقول الله فهذه الآية بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يقول الله فهؤلاء لعبدى ولعبدى ما سأل » فالرب سبحانه له نصف الثناء والخير والعبد له نصف الدعاء والطلب وهاتان جامعتان ما للرب سبحانه وما للعبد فاياك نعبد للرب واياك نستعين للعبد وفي الصحيحين عن معاذ رضى الله عنه قال (كنت رديفا للنبى صلى الله عليه وسلم على حمار فقال يا معاذ اتدري ما حق الله على العباد قلت الله ورسوله أعلم قال حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به» والعبادة هى الغاية التي خلق الله لها العباد من جهة امر الله ومحبته ورضاه لما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون[١]) وبها ارسل الرسل وانزل الكتب وهي اسم يجمع كمال الحب ونهايته وكمال الحب لله ونهايته فالحب الخلى عن ذل والذل الخلى عن حب لا يكون عبادة وانما العبادة ما يجمع كمال الأمرين ولهذا كانت العباد

١ - الذاريات ٥٦

لا تصلح الا لله وهى وان كانت منفعتها للعبد والله غنى عنها فهى له من جهة محبته لها ورضاه بها ولهذا كان الله اشد فرحا بتوبة العبد من الفاقد لراحلته عليها طعامه وشرابه في الارض دوية مهلكة اذا نام آيسا منها ثم استيقظ فوجدها فالله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته وهذا يتعلق به أمور جليلة قد بسطناها وشرحناها في غير هذا الموضع والتوكل والاستعانة للعبد لانه هو الوسيلة والطريق الذى ينال به مقصوده ومطلوبه من العبادة فالاستعانة كالدعاء والمسئلة. وقد روى الطبرانى في كتاب الدعاء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله يا ابن آدم انما هى اربع واحدة لى وواحدة لك وواحدة بيى وبينك وواحدة بينك وبين خلقى فاما التي لى فتعبدنى لا تشرك بى شيئا واما التى هى لك فعملك اجازيك به احوج ما تكون اليه واما التى بينى وبينك فمنك الدعاء وعلىّ الاجابة واما التى بينك وبين خلقى فأت للناس ما تحب أن يأتوا اليك وكون هذا لله وهذا للعبد هو اعتبار تعلق المحبة والرضاء ابتداء فان العبد ابتداء يحب ويريد ما يراه ملائما له والله تعالى يحب ويرضى ماهو الغاية المقصودة في رضاه وحبه الوسيلة تبعا لذلك والا فكل مأمور به فمنفعته عائدة على العبد وكل ذلك يحبه الله ويرضاه وعلى هذا فالذى ظن أن التوكل من المقامات العامة ظن أن التوكل لا يطلب به الاحظوظ الدنيا وهو غلط بل التوكل في الامور الدينية أعظم. وأيضا التوكل في الامور الدينية التى لا تتم الواجبات والمستحبات الا بها والزاهد فيها زاهد فيما يحبه الله ويأمر به ويرضاه والزهد المشروع هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة وهو

فضول المباح التى لا يستعان بها على طاعة الله كما أن الورع المشروع هو ترك ماقد يضر في الدار الآخرة وهو ترك المحرمات والشبهات التى لا يستلزم تركها ترك ما فعله أرجح منها كالواجبات فاما ما ينفع في الدار الآخره بنفسه أو على ما ينفع فى الدار الآخرة فالزهد فيه ليس من الدين بل صاحبه داخل في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) كما ان الاشتغال بفضول المباحاة هو ضد الزهد المشروع فان اشتغل بها عن واجب أو فعل محرم كان عاصيا والا كان منقوصا عن درجة المقربين الى درجة المقتصدين وأيضا فالتوكل هو محبوب لله مرضى مأمور به دائما وما كان محبوبا لله مرضيا مأمورا به دائما لا يكون من فعل المقتصدين دون المقربين فهذه ثلاثة أجوبة عن قولهم المتوكل لا يطلب حظوظه ☆

وأما قولهم الأمور قد فرغ منها فهذا نظير ماقاله بعضهم في الدعاء انه لاحاجة اليه لان المطلوب ان كان مقدراً فلاحاجة اليه وان لم يكن مقدرا لم ينفع وهذا القول من أفسد الاقوال شرعا وعقلا وكذلك قول من قال التوكل والدعاء لا يجلب به منفعة ولا يدفع به مضرة وانما هو عبادة محضة وان حقيقة التوكل بمنزلة حقيقة التفويض المحض وهذا وان كان قاله طائفة من المشائخ فهو غلط أيضا وكذلك قول من قال الدعاء انما هو عبادة محضة فهذه الاقوال وما أشبهها يجمعها أصل واحد وهو أن هؤلاء ظنوا ان كون الأمور مقدرة مقضية يمنع أن يتوقف على أسباب مقدرة أيضا تكون من العبد ولم يعلموا ان الله سبحانه يقدر الامور ويقضيها بالأسباب التى جعلها معلقة بها من أفعال العباد وغير أفعالهم ولهذا كان طور قولهم

١ ـ المائدة ٨٧

يوجب تعطيل الاعمال بالكلية وقدسئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن هذامرات فأجاب عنه كما أخرجاه في الصحيحين عن عمران بن حصين قال «قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعلم أهل الجنة من أهل النار قال نعم قالوا ففيم العمل قال كل ميسر لما خلق له» وفي الصحيحين عن على بن ابى طالب قال «كنا في جنازة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ومعه محصرة فجعل ينكت بالمحصرة في الارض ثم رفع رأسه وقال ما من نفس منفوسة الاوقد كتب مكانها من النار أوالجنة الاوقد كتبت شقية او سعيدة قال فقال رجل من القوم يانبي الله افلا نمكث على كتابنا وندع العمل فمن كان من اهل السعادة ليكونن الى السعادة ومن كان من اهل الشقاوة ليكونن الى الشقاوة قال اعملوا فكل ميسر لما خلق لهاأما اهل السعادة فييسرون للسعادة واما اهل الشقاوة فييسرون للشقاوة ثم قال نبى الله صلى الله عليه وسلم (فأمامن أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأمامن بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)» أخرجه الجماعة فى الصحاح والسنن والمسانيد. وروى الترمذي «أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم سئل فقيل يا رسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقى بها وتقى نتقيها أترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله» وقد جاء هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عدة أحاديث فبين صلى الله عليه وآله وسلم أن تقدم العلم والكتاب بالسعيد والشقى لا ينافى أن تكون سعادة هذا بالاعمال الصالحة وشقاوة هذا بالأعمال السيئة فانه سبحانه يعلم الأمور على ما هي عليه وكذلك يكتبها فهو يعلم

١ - الليل ٥ - ١٠

أن السعيد يسعد بالأعمال الصالحة والشقى يشقى بالاعمال السيئة فمن كان سعيداً ييسر للاعمال الصالحة التى تقتضى السعادة ومن كان شقياً ييسر للاعمال السيئة التي تقتضى الشقاوة كلاهما ميسر لما خلق له وهو ما يصير اليه من مشيئة الله العامة الكونية التى ذكرها الله سبحانه في كتابه في قوله تعالى (ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم[١]) وأما ما خلقوا له من محبة الله ورضاه وهو إرادته الدينية وأمر بموجباتها فذلك مذكورة في قوله « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون[٢] » والله سبحانه قد بين في كتابه في كل واحدة من الكلمات والأمر والارادة والاذن والكتاب والحكم والقضاء والتحريم ونحو ذلك مما هو دينى موافقة لمحبة الله ورضاه وأمره الشرعي وما هو كونى موافق لمشيئته الكونية مثال ذلك انه قال في الأمر الدينى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى[٣]) وقال تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها[٤]) ونحو ذلك. وقال فى الكونى (انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون[٥]) وكذلك قوله (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول[٦]) على احدى الاقوال في هذه الآية وقال في الارادة الدينية (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر[٧]) يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم[٨]) (مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم[٩]) وقال في الارادات الكونية (ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد[١٠]) وقال (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء[١١]) وقال نوح عليه السلام (ولاينفعكم

١ ـ هود ١١٨ ـ ١١٩
٢ ـ الذاريات ٥٦
٣ ـ النحل ٩٠
٤ ـ النساء ٥٨
٥ ـ يس ٨٢
٦ ـ الاسراء ١٦
٧ ـ البقرة ١٨٥
٨ ـ النساء ٢٦
٩ ـ المائدة ٦
١٠ ـ البقرة ٢٥٣
١١ ـ الأنعام ١٢٥

نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم)[١] وقال (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)[٢] وقال في الاذن الدينى (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبأذن الله)[٣] وقال في الكونى (وما هم بضارين به من أحد الا بإذن الله)[٤] وقال في القضاء الدينى (وقضى ربك الا تعبدوا الا إياه)[٥] أى أمر. وقال في الكونى (فقضاهن سبع سموات في يومين)[٦] وقال في الحكم الدينى (أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم ما يريد)[٧] وقال (ذلكم حكم الله يحكم بينكم)[٨] وقال في الكونى عن ابن يعقوب (فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين)[٩] وقال (قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون)[١٠] وقال في التحريم الدينى (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير)[١١] (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم)[١٢] الآية ✲ وقال فى التحريم الكونى (فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض)[١٣] وقال فى الكلمات الدينية (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن)[١٤] وقال في الكونية (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا)[١٥] ومنه قوله صلى الله عليه وسلم المستفيض عنه من وجوه في الصحاح والسنن والمسانيد انه كان يقول «أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر» ومن المعلوم أن هذا هو الكونى الذى لا يخرج منه شىء عن مشيئته وتكوينه وأما الكلمات الدينية فقد خالفها الكفار بمعصيته ✲

والمقصود هنا أنه صلى الله عليه وسلم بين أن العواقب التي خلق لها الناس سعادة وشقاوة ييسرون لها بالاعمال التي يصيرون بها الى ذلك

١ ـ هود ٣٤
٢ ـ يس ٨٢
٣ ـ الحشر ٥
٤ ـ البقرة ١٠٢
٥ ـ الاسراء ٢٣
٦ ـ فصلت ١٢
٧ ـ المائدة ١
٨ ـ الممتحنة ١٠
٩ ـ يوسف ٨٠
١٠ ـ الأنبياء ١١٢
١١ ـ المائدة ٣
١٢ ـ النساء ٢٣
١٣ ـ المائدة ٢٦
١٤ ـ البقرة ١٢٤
١٥ ـ الاعراف ١٣٧

كما أن سائر المخلوقات كذلك فهو سبحانه خلق الولد وسائر الحيوان في الارحام بما يقدره من اجتماع الابوين على النكاح واجتماع المائين في الرحم فلو قال الانسان أنا أتوكل ولا أطأ زوجتي فان كان قد قضى لي بولد والا لم يوجد ولا حاجة الى وطء كان أحمق بخلاف ما اذا وطى وعزل الماء فان عزل الماء لا يمنع انعقاد الولد اذا شاء الله اذ قد يخرج بغير اختياره وقد ثبت في الصحيح عن أبي سعيد الخدري قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق فاصبنا سرايا من العرب فاشتهينا النساء واشتدت علينا العزبة وأحببنا العزل فسألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عليكم ألا تفعلوا فان الله قد كتب ما هو خالق الى يوم القيامة » وفي صحيح مسلم عن جابر « أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال اعزل عنها ان شئت فانه سيأتيها ما قدر لها » وهذا مع أن الله سبحانه قادر على ما قد فعله من خلق الانسان من غير أبوين كما خلق آدم ومن خلقه من أب فقط كما خلق حواء من ضلع آدم القصير ومن خلقه من أم فقط كما خلق المسيح ابن مريم عليه السلام لكن خلق ذلك بأسباب أخري غير معتادة وهذا الموضع وان كان انما يجحده الزنادقة المعطلون للشرائع فقد وقع في كثير من (١) وكثير من المشائخ المعظمين يسترسل أحدهم مع القدر غير محقق لما أمر به ونهى عنه ويجعل ذلك من باب التفويض والتوكل وتجرى مع الحقيقة القدرية ويحسب أن قول القائل ينبغي للعبد أن يكون مع الله

(١) هكذا النسخة ولعله في كثير منهم

كالميت بين يدى الناس يتضمن ترك العمل با لأمر والنهى حتى يترك ما أمر به ويفعل مانهى عنه وحتى يضعف عنده النور والفرقان الذى يفرق به بين ما أمر الله به وأحبه وأرضاه وبين ما نهى عنه وأبغضه وسخطه فيسوى بين ما فرق الله بينه قال تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون[1]) وقال تعالى (أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون[2]) وقال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار[3]) وقال تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون[4]) وقال تعالى « وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور[5] » وأمثال ذلك حتي يفضى الامر بغلاتهم الى عدم التمييز بين الامر بالمأمور النبوى الالهى الفرقاني الشرعى الذى دل عليه الكتاب والسنة وبين ما يكون في الوجوه من الأحوال التى تجرى على أيدى الكفار والفجار فيشهدون وجه الجمع من جهة الجمع بقضاء الله وقدره وربوبيته وارادته العامة وأنه داخل في ملكه ولا يشهدون وجه الفرق الذي فرق الله به بين أوليائه وأعدائه والابرار والفجار والمؤمنين والكافرين وأهل الطاعة الذين أطاعوا أمره الدينى و أهل المعصية الذين عصوا هذا الامر ويشهدون في ذلك بكلمات مجملة نقلت عن بعض الاشياخ أوببعض غلطات بعضهم وهذا أصل عظيم من أعظم ما يجب الاعتناء به على أهل طريق الله السالكين سبيل ارادة الذين يريدون وجهه

١ ـ الجاثية ٢١
٢ ـ القلم ٣٥ ـ ٣٦
٣ ـ ص ٢٨
٤ ـ الزمر ٩
٥ ـ فاطر ١٩ ـ ٢٢

فانه قد دخل بسبب اهمال ذلك على طوائف منهم من الكفر والفسوق والعصيان مالا يعلمه الا الله حتى يصيروا معاونين على البغي والعدوان للمسلطين في الأرض من اهل الظلم والعلو الذين يتوجهون بقلوبهم في معاونة من يهوونه من اهل العلو في الارض والفساد ظانين انهم اذا كانت لهم احوال اثروابها في ذلك من اولياء الله فان القلوب لها من التأثير اعظم مما للابدان لكن ان كانت صالحة كان تأثيرها صالحا وان كانت فاسدة كان تأثيرها فاسدا فالاحوال يكون تأثيرها محبوباً لله تارة ومكروها لله أخرى وقد تكلم الفقهاء على وجوب القود على من يقتل بغيره فى الباطن حيث يجب القود في ذلك ويستشهدون ببواطنهم وقلوبهم الأمر الكونى ويعدون مجرد خرق العادة لاحدهم بكشف لهم أو بتأثير يوافق ارادته هو كرامة من الله له ولا يعلمون انه في الحقيقة اهانة وان الكرامة لزوم الاستقامة وان الله لم يكرم عبده بكرامة اعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه وهو طاعته وطاعة رسوله وموالاة اوليائه ومعاداة اعدائه وهؤلاء هم اولياء الله الذين قال الله فيهم (ألا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) فان كانوا موافقين له فيما اوجبه عليهم فهم من المقتصدين وان كانوا موافقين فيما اوجبه واحبه فهم من المقربين مع ان كل واجب محبوب وليس كل محبوب واجبا واما ما يبتلى الله به عبده من الشر بخرق العادة او بغيرها او بالضراء فليس ذلك لاجل كرامة العبد على ربه ولاهوانه عليه بل قد يسعد بها اقوام اذا اطاعوه في ذلك وقد يشقى بها قوم اذا عصوه في ذلك. قال الله تعالى (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما

١ - يونس ٦٢

اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا [١] ولهذا كان الناس في هذه الامور على ثلاثة أقسام . قسم ترتفع درجاتهم بخرق العادة اذا استعملوها في مطاعة . وقوم يتعرضون بها لعذاب الله اذا استعملوه في معصية الله كبلعام وغيره . وقوم تكون في حقهم بمنزلة المباحات والقسم الاول هم المؤمنون حقا المتبعون لنبيهم سيد ولد آدم الذى انما كانت خوارقه لحجة يقيم بها دين الله اولحاجة يستعين بها على طاعة الله ولكثرة الغلط في هذا الاصل نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسترسال مع القدر بدون الحرص على فعل المأمور الذي ينفع العبد فروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وان أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان» وفي سنن أبي داود «أن رجلين اختصما الى النبى صلى الله عليه وسلم فقضى على أحدهما فقال المقضى عليه حسبي الله ونعم الوكيل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فاذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل» فأمر النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن أن يحرص على ما ينفعه وأن يستعين بالله وهذا مطابق لقوله (اياك نعبد واياك نستعين [٢]) وقوله (فاعبده وتوكل عليه [٣]) فان الحرص على ما ينفع العبد هو طاعة الله وعبادته اذ النافع له هو طاعة الله ولا شيء أنفع له من ذلك وكل ما يستعان به على الطاعة فهو طاعة وان كان من جنس المباح: قال النبى صلي الله عليه وسلم في الحديث

١ - الفجر ١٥ - ١٦
٢ - الفاتحة ٤
٣ - هود ١٢٣

الصحيح لسعد « انك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا ازددت بها درجة ورفعة حتى اللقمة تضعها في في امرأتك » فأخبر النبي صلي الله عليه وسلم أن الله يلوم على العجز الذى ضد الكيس وهو التفريط فيما يؤمن بفعله فان ذلك ينافي القدرة المقارنة للفعل وان كان لا ينافى القدرة المقدمة التي هى مناط الامر والنهى فان الاستطاعة التى توجب الفعل وتكون مقارنة له لاتصلح الالمقدورها كما ذكرها في قوله (ماكانوا يستطيعون السمع)[1] وقوله (وكانوا لايستطيعون سمعا)[2] وأما الاستطاعة التى يتعلق بها الامر والنهي فتلك قد يقترن بها الفعل وقد لايقترن كما في قوله (ولله علي الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)[3] وقوله صلي الله عليه وسلم لعمر « أن صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنبك »

فهذا الموضع قد انقسم الناس فيه على أربعة أقسام قوم ينظرون الى جانب الأمر والنهي والعبادة والطاعة شاهدين لالوهيته سبحانه الذى أمروا أن يعبدوه ولا ينظروا إلى جانب القضاء والقدر والتوكل والاستعانة وهو حال كثير من المتفقهة المتعبدة فهم مع حسن قصدهم وتعظيمهم لحرمات الله واشعاره يغلب عليهم الضعف والعجز والخذلان والاستعانة بالله والتوكل عليه واللجاء اليه والدعاء له هى التى تقوى العبد وتيسر عليه الأمور ولهذا قال بعض السلف من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله. وفي الصحيحين عن عبد الله ابن عمرو « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صفته فى التوراة انا أرسلناك شاهدا ومبشرا وزيرا وحرزا للامين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ

١ - هود ٢٠
٢ - الكهف ١٠١
٣ - آل عمران ٩٧

ولا غليظ ولا صحاب فى الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يجزى بالسيئة الحسنة ويغفر ولن أقبضه حتي أقيم به الملة العوجاء فأفتح بك أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا بأن يقولوا لا اله الا الله» ولهذا روى أن حملة العرش انما أطاقوا حمل العرش بقولهم لا حول ولا قوة الا بالله. وفي الصحيحين عن النبى صلي الله عليه وسلم « انها كنز من كنوز الجنة» قال تعالى (ومن يتوكل علي الله فهو حسبه) وقال تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) الى قوله (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) وفي صحيح البخارى عن ابن عباس في قوله (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها ابراهيم الخليل حين القى في النار وقالها محمد حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم ☆

وقسم ثان يشهدون ربوبية الحق وافتقارهم اليه ويستعينون بها على أهوائهم وأذواقهم غير ناظرين الى حقيقة أمره ونهيه ورضاه وغضبه ومحبته وهذا حال كثير من المتفقرة والمتصوفة ولهذا كثيرا ما يعملون على الاحوال التي يتصرفون بها في الوجود لا يقصدون ما يرضى الرب ويحبه وكثيرا ما يغلطون فيظنون أن معصيته هى مرضاته فيعودون الى تعطيل الامر والنهي ويسمون هذا حقيقة ويظنون أن هذه الحقيقة الأمرية الدينية هى التي تحوى مرضات الرب ومحبته وأمره ونهيه ظاهرا وباطنا وهؤلاء كثيرا ما يسلبون أحوالهم وقد يعودون الى نوع من المعاصى والفسوق بل كثير منهم يرتد عن الاسلام لان العاقبة للتقوى ومن لم يقف عند أمر الله ونهيه فليس من المتقين فهم يقعون فى بعض ما وقع المشركون فيه تارة من بدعة

١ - الطلاق ٢
٢ - آل عمران ١٧٣
٣ - آل عمران ١٧٥

يظنونها شرعة وتارة في الاحتجاج بالقدر على الأمر والله تعالى لما ذكر ما ذم به المشركين في سورة الانعام ذكر ما ابتدعوه فى الدين وجعلوه شرعة كما قال تعالى (وإذا[1] فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) وقد ذمهم على ان حرموا مالم يحرمه الله وان شرعوا مالم يشرعه الله وذكر احتجاجهم بالقدر فى قوله (لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء[2]) ونظيرها في النحل ويس والزخرف وهؤلاء يكون فيهم شبهة في هذا وهذا ☆

وأما القسم الثالث وهو من أعرض عن عبادة الله واستعانته به فهؤلاء شر الاقسام ☆

والقسم الرابع هو القسم المحمود وهو حال الذين حققوا اياك نعبد[3] واياك نستعين) وقوله (فاعبده وتوكل عليه[4]) فاستعانوا به على طاعته وشهدوا انه الاله الذى لايجوز ان يعبد الا اياه وطاعة رسوله وانه ربهم الذى ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع وانه (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده[5] وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله[6]) قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته[7]) ولهذا قال طائفة من العلماء الالتفات الى الاسباب شرك فى التوحيد ومحو الاسباب ان تكون اسبابا نقص في العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح فى الشرع وانما التوكل المأمور به ما يجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع فقد بين ان من ظن التوكل من مقامات عامة اهل الطريق فقد غلط غلطا شديدا وان كان من اعيان المشائخ كصاحب علل المقامات

١ - الاعراف ٢٨
٢ - الأنعام ١٤٨
٣ - الفاتحة ٤
٤ - هود ١٢٣
٥ - فاطر ٢
٦ - يونس ١٠٧
٧ - الزمر ٣٨

وهو من اجل المشائخ واخذ ذلك عنه صاحب محاسن المجالس وأظهر ضعف حجته فمن قال ذلك ان المطلوب به حظ العامة فقط وظنه انه لافائدة له فى تحصيل المقصود وهذه حال من جعل الدعاء كذلك وذلك بمنزلة من جعل الاعمال المأمور بها كذلك فمن اشتغل بالتوكل على مايجب عليه من الأسباب التى هي عبادة الله وطاعة مأمور بها فان غلط هذا من ترك الاسباب المأمور بها التي هى داخلة في قوله (فاعبده وتوكل عليه) كغلط الاول فى ترك التوكل المأمور به الذى هو داخل في قوله (فاعبده وتوكل عليه) لكن يقال من كان توكله على الله ودعاؤه له هو فى حصول مباحات فهو من العامة وان كان في حصول مستحبات وواجبات فهو من الخاصة كما ان من دعاه وتوكل عليه في حصول محرمات فهو ظالم لنفسه ومن اعرض عن التوكل فهو عاص لله ورسوله بل خارج عن حقيقة الايمان فكيف يكون هذا المقام للخاصة . قال الله تعالى (وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) وقال تعالى (ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده) وقال (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقال تعالى (قل افرأيتم ماتدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره) الى قوله (قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون) وقد ذكر الله هذه الكلمة حسبي الله في جلب المنفعة تارة وفى دفع المضرة أخرى فالاولى قوله (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله) الآية. والثانية قوله « الذين قال لهم الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» وفي قوله

١ ـ هود ١٢٣
ـ يونس ٨٤
ـ آل عمران ١٦٠
ـ آل عمران ١٢٢
ـ الزمر ٣٨
ـ الزمر ٣٨
ـ التوبة ٥٩
ـ آل عمران ١٧٣

وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله[1] وقوله (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله[2]) الآية يتضمن الامر بالرضا والتوكل والرضاء والتوكل يكتنفان المقدور فالتوكل قبل وقوعه والرضاء بعد وقوعه ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الصلاة «اللهم بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق احيني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي اللهم اني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا واسألك القصد في الفقر والغنى واسألك نعيما لا ينفد واسألك قرة عين لا تنقطع اللهم اني اسألك الرضاء بعد القضاء واسألك برد العيش بعد الموت واسألك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين» رواه احمد والنسائي من حديث عمار بن ياسر* وأما مايكون قبل القضاء فهو عزم على الرضا لا حقيقة للرضا ولهذا كان طائفة من المشائخ يعزمون على الرضا قبل وقوع البلاء فاذا وقع انفسخت عزائمهم كما يقع نحو ذلك في الصبر وغيره كما قال تعالى (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون[3]) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص[4]) نزلت هذه الآية لما قالوا لو علمنا أي الاعمال أحب الى الله لعملناه فأنزل الله آية الجهاد فكرهه من كرهه ولهذا كره للمرء أن يتعرض للبلاء بأن يوجب على نفسه مالا يوجبه الشارع عليه بالعهد والنذر ونحو ذلك أو يطلب ولاية أو يقدم على بلد فيه طاعون

١ - الأنفال ٦٢
٢ - التوبة ٥٩
٣ - آل عمران ١٤٣
٤ - الصف ٢ - ٤

كما ثبت في الصحيحين من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن النذر وقال « انه لايأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل » وثبت عنه في الصحيحين أنه قال لعبد الرحمن بن سمرة « لا تسأل الامارة فانك إن اعطيتها عن مسألة وكلت اليها وان أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك» وثبت عنه في الصحيحين أنه قال في الطاعون « اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها » وثبت في الصحيحين أنه قال « لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية ولكن اذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» وأمثال ذلك مما يقتضي أن الانسان لاينبغي له أن يسعى فيما يوجب عليه أشياء فيبخل بالوفاء كما يفعل كثير ممن يعاهد الله عهوداً على أمور . وغالب هؤلاء يبتلون بنقض العهود . وينبغي أن الانسان اذا ابتلي فعليه أن يصبر ويثبت ولا يكل حتى يكون من الرجال الموفين القائمين بالواجبات . ولا بد في جميع ذلك من الصبر . ولهذا كان الصبر واجباً باتفاق المسلمين على أداء الواجبات وترك المحظورات . ويدخل في ذلك الصبر على المصائب عن أن يخرج ، والصبر عن اتباع أهواء النفس فيما نهى الله عنه . وقد ذكر الله الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعاً وقرنه بالصلاة في قوله (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين [١] ☆ واستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين [٢]) وقوله (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل [٣]) الى قوله (واصبر فان الله لايضيع أجر المحسنين [٤] ☆ فاصبر على مايقولون وسبح

١ ـ البقرة ٤٥
٢ ـ البقرة ١٥٣
٣ ـ هود ١١٤
٤ ـ هود ١١٥

بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ☆ فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك) الآية . وجعل الامامة فى الدين موروثة عن الصبر واليقين بقوله (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) فان الدين كله علم بالحق وعمل به فالعمل به لابد فيه من الصبر بل وطلب علمه يحتاج الى الصبر كما قال معاذ بن جبل عليكم بالعلم فان طلبه لله عبادة ومعرفته خشية والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ومذاكرته تسبيح به يعرف الله ويعبد به يمجد ويوحد يرفع الله بالعلم اقواما يجعلهم للناس قادة وائمة يهتدون بهم وينتهون الى رأيهم. فجعل البحث عن العلم من الجهاد ولابد في الجهاد من الصبر ولهذا قال تعالى (والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتوصوا بالحق وتواصوا بالصبر) وقال تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولى الايدي والابصار) فالعلم النافع هو اصل الهدى والعمل بالحق هو الرشاد وضد الاول هو الضلال وضد الثانى هو الغى والضلال العمل بغير علم والغى اتباع الهوى . قال تعالى (والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى) فلا ينال الهدي الا بالعلم ولا ينال الرشاد الا بالصبر ولهذا قال على ألا ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد فاذا انقطع الرأس بان الجسد ثم رفع صوته فقال ألا لا ايمان لمن لا صبر له☆

واما الرضا فقد تنازع العلماء والمشائخ من اصحاب الامام احمد وغيرهم في الرضاء بالقضاء هل هو واجب أو مستحب على قولين فعلى الاول يكون من اعمال المقتصدين وعلى الثانى يكون من اعمال المقربين قال عمر بن عبد العزيز الرضاء عزيز ولكن معول المؤمن. وقد روي

١ - طه ١٣٠
٢ - غافر ٥٥
٣ - السجدة ٢٤
٤ - العصر ١ - ٣
٥ - ص ٤٥
٦ - النجم ١ - ٢

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابن عباس « ان استطعت ان تعمل لله بالرضا مع اليقين فافعل فان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً . ولهذا لم يجيء في القرآن الا مدح الراضين لا ايجاب ذلك وهذا في الرضا فيما يفعله الرب بعبده من المصائب كالمرض والفقر والزلزال كما قال تعالى (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس) وقال (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا)[٢] فالبأساء في الاموال والضراء في الابدان والزلزال في القلوب . وأما الرضا بما أمر الله به فأصله واجب وهو من الايمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث « ذاق طعم الايمان من رضي بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً » وهو من توابع المحبة كما سنذكره ان شاء الله تعالى . وقال (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليماً)[٣] وقال تعالى (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله)[٤] الآية . وقال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)[٥] وقال (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون)[٦] ومن النوع الأول ما رواه احمد والترمذي وغيرهما عن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من سعادة ابن آدم استخارته لله ورضاه بما قسم الله له . ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارته لله وسخطه بما يقسم الله له » وأما الرضا بالمنهيات من الكفر والفسوق والعصيان فأكثر العلماء يقولون لا يشرع الرضا بها اذ

١ ـ البقرة ١٧٧
٢ ـ البقرة ٢١٤
٣ ـ النساء ٦٥
٤ ـ التوبة ٥٩
٥ ـ محمد ٢٨
٦ ـ التوبة ٥٤

هى كما لا تشرع محبتها فان الله سبحانه لا يرضاها ولا يحبها وان كان قدرها وقضاها كما قال سبحانه (والله لا يحب الفساد[١]) وقال تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر[٢]) بل يسخطها كما قال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم[٣]) وقالت طائفة ترضى من جهة كونها مضافة الى الله خلقاً وتسخط من جهة كونها مضافة الى العبد فعلا وكسباً. وهذا لاينافى الذى قبله بل هما يعودان الى أصل واحد وهو سبحانه قدر الاشياء لحكمة فهي لاعتبار تلك الحكمة محبوبة مرضية وقد تكون في نفسها مكروهة ومسخوطة. اذ الشيء الواحد يجتمع فيه وصفان يحب من أحدهما ويكره من الآخر كما في الحديث الصحيح «ماترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه» وأما من قال بالرضاء بالقضاء الذى هو وصف الله وفعله لابالمقتضى الذى هو مفعوله فهو خروج منه عن مقصود الكلام. فان الكلام ليس بالرضاء فيما يقوم بذات الرب تعالى من صفاته وأفعاله وانما الكلام فى الرضاء بمفعولاته، والكلام فيما يتعلق بهذا قد بيناه في غير هذا الموضع. والرضاء وان كان من أعمال القلوب فكماله هو الحمد، حتى أن بعضهم فسر الحمد بالرضاء. ولهذا جاء في الكتاب والسنة حمد الله على كل حال وذلك يتضمن بمقضياته. وفى الحديث «أول من يدعى الى الجنة الحامدون الذين يحمدون الله في السراء والضراء» وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم «أنه كان اذا اتاه الامر يسره قال الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات واذا أتاه الامر الذى يسوءه قال الحمد لله على كل حال» وفي مسند

١ ـ البقرة ٢٠٥
٢ ـ الزمر ٧
٣ ـ محمد ٢٨

الامام احمد عن أبى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « اذا قبض ولد العبد يقول الله لملائكته أقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال فيقولون حمدك واسترجعك فيقول ابنوا لعبدى بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد » ونبينا صلى الله عليه وسلم هو صاحب لواء الحمد ، وأمته هم الحامدون الذين يحمدون الله على السراء والضراء . والرضا والحمد على الضراء يوجبه شاهدان . أحدهما علم العبد بأن الله سبحانه مستوجب لذلك مستحق له لنفسه فانه أحسن كل شيء خلقه وأتقن كل شيء وهو العليم الحكيم الخبير الرحيم . والثانى علمه بأن اختيار الله لعبده المؤمن خير من اختياره لنفسه كما روى مسلم في صحيحه وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « والذى نفسى بيده لايقضى الله للمؤمن قضاء الا كان خيراً له وليس ذلك الا للمؤمن ان أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وان اصابته ضراء فصبر فكان خيراً له » فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان كل قضاء يقضيه الله للمؤمن الذى يصبر على البلاء ويشكر على السراء فهو خير له . قال تعالى (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) وذكرها فى أربعة مواضع من كتابه . فأما من لايصبر على البلاء ، ولا يشكر على الرخاء فلا يلزم أن يكون القضاء خيراً له . ولهذا أجبت من أورد على هذا بما يقضى على المؤمن من المعاصى بجوابين : أحدهما : ان هذا انما يتناول ما أصاب العبد لامافعله العبد كما في قوله (ماأصابك من حسنة فمن الله) أى من سراء (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) أى من ضراء . وكقوله (وبلوناهم

١ ـ الشورى ٣٣
٢ ـ النساء ٧٩

بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون[1]) أي بالسراء والضراء كما قال (ونبلوكم بالشر والخير فتنة[2]) وقال (ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها[3]) يراد بها المسار والمضار ، ويراد بها الطاعات والمعاصي . والجواب الثاني أن هذا في حق المؤمن الصبار الشكور . والذنوب تنقص الايمان ، فاذا تاب العبد أحبه الله وقد ترتفع درجته بالتوبة . قال بعض السلف كان داود بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة فمن قضى له بالتوبة كان كما قال سعيد بن جبير ان العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار ، وان العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة . وذلك أنه يعمل الحسنة فتكون نصب عينه ويعجب بها ويعمل السيئة فتكون نصب عينه فيستغفر الله ويتوب اليه منها . وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الأعمال بالخواتيم » والمؤمن اذا فعل سيئة فان عقوبته تندفع عنه بعشرة أسباب . أن يتوب فيتوب الله عليه فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، أو يستغفر فيغفر له ، أو يعمل حسنات تمحوها فان الحسنات يذهبن السيئات ، أو يدعو له اخوانه المؤمنون ويشفعون له حيا وميتاً ، أو يهدون له من ثواب أعمالهم لينفعه الله به ، أو يشفع فيه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، أو يبتليه في الدنيا بمصائب تكفر عنه . أو يبتليه في البرزخ والصعقة فيكفر بها عنه ؛ أو يبتليه في عرصات القيامة من أهوالها بما يكفر عنه ؛ أو يرحمه أرحم الراحمين فمن أخطأته هذه العشرة فلا يلومن الا نفسه كما قال تعالى فيما يروي عنه رسوله « ياعبادي انما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيراً فليحمد الله

١ - الاعراف ١٦٨
٢ - الأنبياء ٣٥
٣ - آل عمران ١٢٠

ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ الا نفسه » فان كان المؤمن يعلم أن القضاء خير اذا كان صباراً شكوراً وكان قد استخار الله وعلم أن من سعادة ابن آدم استخارته لله ورضاه بما قسم له كان قد رضى بما هو خير له . وفي الحديث الصحيح عن على قال « ان الله يقضى بالقضاء فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط » ففى هذا الحديث الرضا والاستخارة فالرضا بعد القضاء والاستخارة قبل القضاء وهذا أكمل من الرضا والصبر فلهذا ذكر في ذاك الرضا وفى هذا الصبر م اذا كان القضاء مع الصبر خيرا له فكيف مع الرضا ولهذا جاء في الحديث « المصاب من حرم الثواب » فالأثر الذى رواه الشافعى فى مسنده « أن النبى صلى الله عليه وسلم لما مات سمعوا قائلا يقول يا ال بيت رسول الله ان فى الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب) ولهذا لم نؤمر بالحزن المنافى للرضا قط مع أنه لا فائدة فيه فقد يكون مضرة لكنه يعفي عنه اذا لم يقترن به ما يكرهه الله لكن البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب وذلك لا ينافى الرضا بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه وبهذا نعرف معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم لما بكى على الميت وقال « ان هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء » وان هذا ليس كبكاء من يبكى لحظه لا لرحمة الميت وأن الفضيل بن عياض لما مات ابنه على فضحك وقال رأيت ان الله قضى فأحببت أن أرضى بما قضى الله به حاله حال حسن بالنسبة الى أهل الجزع . وأما رحمة الميت مع الرضا

بالقضاء وحمد الله كحال النبي صلى الله عليه وسلم فهذا أكمل. قال تعالى (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) فذكر سبحانه التواصي بالصبر والرحمة ☆

والناس أربعة أقسام. منهم من يكون فيه صبر بقسوة ومنهم من يكون فيه رحمة بجزع. ومنهم من يكون فيه القسوة والجزع والمؤمن المحمود الذى يصبر على مايصيبه ويرحم الناس. وقد فطن طائفة من المصنفين في هذا الباب أن الرضا عن الله من توابع المحبة له وهذا انما يتوجه على المأخذ الاول وهو الرضا عنه لاستحقاقه ذلك بنفسه مع قطع العبد النظر عن حظه بخلاف المأخذ الثانى وهو الرضا لعمله بأن المقضى خير له ثم ان المحبة متعلقة به والرضا متعلق بقضائه لكن قد يقال في تقرير ما قال هذا المصنف ونحوه أن المحبة لله نوعان محبة له نفسه ومحبة لما منّ به من الاحسان وكذلك الحمد له نوعان حمد له على مايستحقه بنفسه وحمد على إحسانه لعبده فالنوعان للرضا كالنوعين للمحبة. وأما الرضا به وبدينه وبرسوله فذلك من حظ المحبة ولهذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا » وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا لله ومن كان يكره أن يرجع الى الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار » (١)

١ - البلد ١٧

(١) فسرت الحلاوة هنا فى الحديث بمعانى كثيرة فأقربها ماقاله الترمذى أن معناها

وهذا مما يبين من الكلام على المحبة فنقول ☆

فصل

محبة الله بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الايمان وأكبر أصوله وأجل قواعده بل هي كل عمل من أعمال الايمان والدين كما أن التصديق أصل كل قول من أقوال الايمان والدين فان كل حركة في الوجود انما تصدر عن محبة إما عن محبة محمودة أو عن محبة مذمومة كما قد بسطنا ذلك في قاعدة المحبة من القواعد الكبار فجميع الأعمال الايمانية الدينية لا تصدر الا عن المحبة المحمودة وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى فالعمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملا صالحا بل جميع الاعمال الايمانية الدينية لا تصدر الا عن محبه الله فان الله تعالى لا يقبل من العمل الا ما أريد به وجهه كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا

استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين وايثار ذلك على أعراض الدنيا. ومحبة العبد لله تعالى بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك محبة رسول الله صلى الله عليه آله وسلم وقوله «وجد» أي أصاب فلذلك اكتفى بمفعول واحد وهو قوله حلاوة الايمان. ومعنى أنقذه الله خلصه ونجاه ☆ والحكمة في كون حلاوة الايمان في هذه الاشياء الثلاثة أن هذه الامور هي عنوان كمال الايمان المحصل لتلك اللذة لانه لا يتم ايمان امرىء حتى يتمكن في نفسه أن المنعم بالذات هو الله سبحانه وتعالى ولا معطي ولا مانع سواه وما عداه تعالى وسائط لا نفع له ولا ضرر. وأن الرسول عليه الصلاة والسلام هو الشفوق العطوف الساعي في صلاح شأنه وذلك يقتضي أن يتوجه بكليته نحوه ولا يحب ما يحبه الا لكونه وسطا بينه وبين الله تعالى وأن يتيقن أن جملة ما أوعدو وعد حق تيقنا يخيل اليه الموعود كالواقع نسأل الله التوفيق والهداية الى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والصالحين. والله أعلم

فأشرك فيه غيري فانا منه برىء وهو كله للذي أشرك) وثبت في الصحيح حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار « القارىء المرائى والمجاهد المرائى والمتصدق المرائى» بل اخلاص الدين لله هو الدين الذى لا يقبل الله سواه فهو الذى بعث به الاولين والآخرين من الرسل وأنزل به جميع الكتب واتفق عليه أئمة أهل الايمان وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذى تدور عليه رحاه قال تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم)[١] ☆ (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين)[٢] (ألا لله الدين الخالص)[٣] والسورة كلها عامتها فى هذا المعنى في قوله (قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لان أكون أول المسلمين)[٤] الى قوله (قل الله أعبد مخلصا له دينى)[٥] الى قوله (أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه)[٦] الى قوله (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره)[٧] الآية. الى قوله (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون)[٨] (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون)[٩] الى قوله (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون)[١٠] الى قوله (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)[١١] وقال تعالى فيما قصه من قصة آدم وأبليس أنه قال (فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين)[١٢] وقال تعالى (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين)[١٣] وقال (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على

١ - الزمر ١
٢ - الزمر ٢
٣ - الزمر ٣
٤ - الزمر ١١ - ١٢
٥ - الزمر ١٤
٦ - الزمر ٣٦
٧ - الزمر ٣٨
٨ - الزمر ٤٣ - ٤٤
٩ - الزمر ٤٥
١٠ - الزمر ٦٤
١١ - الزمر ٦٦
١٢ - ص ٨٣
١٣ - الحجر ٤٢

الذين يتولونه والذين هم به مشركون)[1] فبين أن سلطان الشيطان واغواءه انما هو لغير المخلصين ولهذا قال فى قصة يوسف (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين)[2] وأتباع الشيطان هم أصحاب النار كما قال تعالى (لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين)[3] وقد قال سبحانه (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء)[4] وهذه الآية في حق من لم يتب ولهذا خصص الشرك وقبل ما سواه بالمشيئة فانه لايغفر الشرك لمن لم يتب منه ومادونه يغفره لمن يشاء. وأما قوله (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا)[5] فتلك في حق التائبين ولهذا عم وأطلق وسياق الآية يبين ذلك مع سبب نزولها وقد أخبر سبحانه أن الاولين والآخرين انما أمروا بذلك فى غير موضع كالسورة التى قرأها النبى صلى الله عليه وسلم لما أمره أن يقرأ عليه قراءة إبلاغ وإسماع خصوصه فقال (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء)[6] الآية وهذا حقيقة قول لااله إلا الله وبذلك بعث جميع الرسل قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون»[7] وقال (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون»[8] وقال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)[9] وجميع الأنبياء افتتحوا دعوتهم بهذا الاصل كما قال نوح عليه السلام «اعبدوا الله ما لكم من اله غيره»[10] وكذلك هود وصالح وشعيب عليهم السلام وغيرهم كل يقول اعبدوا الله ما لكم من إله غيره

١ ـ النحل ٩٩ ـ ١٠٠
٢ ـ يوسف ٢٤
٣ ـ ص ٨٥
٤ ـ النساء ١١٦
٥ ـ الزمر ٥٣
٦ ـ البينة ٤ ـ ٥
٧ ـ الأنبياء ٢٥
٨ ـ الزخرف ٤٥
٩ ـ النحل ٣٦
١٠ ـ الاعراف ٥٩

لاسيما أفضلا الرسل الذين اتخذ الله كلاهما خليلا ابراهيم ومحمدا عليهما السلام فان هذا الاصل بينه الله بهما وأيدهما فيه وأنشره بهما فابراهيم هو الامام الذى قال الله فيه « انى جاعلك للناس إماما »[1] وفى ذريته جعل النبوة والكتاب والرسل فأهل هذه النبوة والرسالة هم الذين بارك الله عليهم قال سبحانه « واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذى فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون »[2] فهذه الكلمة هى كلمة الاخلاص لله وهى البراءة من كل معبود الا من الخالق الذى فطرنا كما قال صاحب يس (ومالى لاأعبد الذى فطرني واليه ترجعون ءأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون »[3] وقال تعالى فى قصته بعد أن ذكر ما يبين ضلال من اتخذ بعض الكواكب ربا يعبده من دون الله قال « فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين »[4] الى قوله (ولا تخافون انكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا)[5] وقال ابراهيم الخليل عليه السلام (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدولى الا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذي هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين)[6] وقوله تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم »[7] الآية ونبينا صلى الله عليه وسلم هو الذى أقام الله به الدين الخالص لله دين التوحيد وقمع به المشركين من كان مشركا في الاصل من الذين كفروا من أهل الكتب وقال صلى الله عليه وسلم

١ - البقرة ١٢٤
٢ - الزخرف ٢٦ - ٢٨
٣ - يس ٢٢ - ٢٣
٤ - الأنعام ٧٨ - ٧٩
٥ - الأنعام ٨١
٦ - الشعراء ٧٥ - ٧٧
٧ - الممتحنة ٤

فيما رواه الامام وغيره[1] « بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده لاشريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحى وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم » وقد تقدم بعض ما انزل الله من الآيات المتضمنة للتوحيد فقال تعالى (والصافات صفا) الى[2] قوله (ان الهكم لواحد) الى قوله (انهم كانوا اذا قيل لهم لااله الا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين)[3] الى قوله (اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون)[4] الى ماذكره من قصص الانبياء في التوحيد واخلاص الدين لله الى قوله (سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين)[5] وقال تعالى (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله)[6] وفي الجملة فهذا الأصل فى سورة الأنعام والأعراف والنور وطسم وحم وسورة المفصل وغير ذلك من السور المكية وكثير من السور المدنية كثير ظاهر فهو اصل الأصول وقاعدة الدين حتى في سورتى الاخلاص قل ياأيها الكافرون وقل هو الله احد. وهاتان السورتان كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما في ركعتى التطوع كركعتى الطواف وسنة الفجر وهما متضمنتان للتوحيد فاما قل ياأيها الكافرون فهى متضمنة للتوحيد العملى الارادي وهو اخلاص الدين لله بالقصد والارادة وهو الذى يتكلم به مشائخ التصوف غالبا. وأما سورة قل هو الله احد فمتضمنة للتوحيد القولى العملى كما ثبت في الصحيحين عن عائشة « ان رجلا كان

١ - الصافات ١
٢ - الصافات ٤
٣ - الصافات ٣٥ - ٣٧
٤ - الصافات ٤١ - ٤٢
٥ - الصافات ١٥٩ - ١٦٠
٦ - النساء ١٤٥ - ١٤٦

(١) الحديث رواه الامام احمد في مسنده وابو يعلى والطبرانى في الكبير عن ابن عمر

يقرأ قل هو الله احـد في صلاته فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلوه لم يفعل ذلك فقال لانها صفـة الرحمن فانا أحبهـا فقال اخبروه ان الله يحبه» ولهذا تضمنت هذه السورة من وصف الله سبحانه وتعالى الذى جاء بنفي قول أهل التعطيل واهل التمثيل ماصارت به هي الاصل المعتمد في مسائل الذات كما قد بسطنا ذلك في غير هذا الموضع وذكرنا اعتماد الائمة عليها على ماتضمنته في تفسير الأحد كما جاء تفسيره عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وما دل على ذلك من الدلائل لكن المقصود هنا هو التوحيد العملى وهو إخلاص الدين لله وان كان احـد النوعين مرتبطاً بالآخر فلا يوجد احد من أهل التعطيل الجهمية واهل التمثيل المشبهة الا وفيه نوع من الشرك العملي اذا صل قولهم فيه شرك وتسوية بين الله وبين خلقه او بينه وبين المعدومات كما يسوى المعطلة بينه وبين المعدومات في الصفات السلبية التى لاتستلزم مدحا ولا ثبوت كمال أو يسوون بينه وبين الناقص من الموجودات في صفات النقص وكما يثبتون اذا اثبتوا هم (١) ومن ضاهاهم من الممثلة مساواة بينه وبين المخلوقات في حقائقها حتي يعبدوها فيعدلون عن ربهم ويجعلون له أندادا ويشبهون المخلوق برب العالمين واليهود كثيرا مايعدلون الخالق بالمخلوق ويمثلونه به حتى يصفوا الله بالعجز والفقر والبخل ونحو ذلك من النقائص التى يجب تنزيهه عنهـا وهى من صفات خلقه والنصاري يعدلون المخـلوق بالخالق حتي جعلوا في المخـلوق من نعوت الربوبية وصفات الالهية ويجوزون له مالا يصلح الا للخالق سبحانه وتعالى عما

(١) هكذا الاصل تدبر

يقول الظالمون علوا كبيرا والله سبحانه وتعالى قد أمرنا بالانابة في قوله (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون» وفى هذه الامة من فيه شبه من هؤلاء وهؤلاء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصاري قال فمن» (١) والحديث فى الصحيحين فاذا كان أصل العمل الدينى هو اخلاص الدين لله وهو ارادة الله وحده فالشيء المراد لنفسه المحبوب لذاته وهذا كمال المحبة لكن أكثر ماجاء المطلوب مسمى باسم العبادة كقوله (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وقوله (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم) وأمثال هذا والعبادة تتضمن كمال الحب ونهايته وكمال الذل ونهايته فالمحبوب الذى لايعظم ولا يذل له لا يكون معبودا والمعظم الذى لايعظم لايكون معبوداً ولهذا قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا

(١) السنن بفتح السين السبيل والمنهاج وروى بضمها . والقذة جمع قذذ ريش السهم أى كما تقدر كل واحدة منهما على قدر صاحبتها وتقطع يضرب مثلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان . والجحر بضم الجيم كل شيء يحتفره الهوام والسباع لانفسها . والضب هودويبة . وتخصيص جحر الضب بالذكر لشدة ضيقه ورداءته ومع ذلك فانهم لاقتفائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الردىء لوافقوهم على ذلك ولنظر مابلغ هذا التشبيه والتمثيل. وقد وقع ماأخبر به صلى الله عليه وآله وسلم فتجد اكثر المسلمين المنهمكين فى شهوات فروجهم وبطونهم لايتلذذون الا اذا قلدوا الاجنبي في كل فعل قبيح وعمل مضر. وقوله «فمن» هو بفتح الفاء والميم وسكون النون استفهام على وجه الانكار أى ليس المراد غيرهم والله أعلم

- الفاتحة ٦ - ٧
- الذاريات ٥٦
- البقرة ٢١

أشد حبا لله)[1] منهم ومن آباءهم لان المؤمنين أعلم بالله والحب يتبع العلم وان المؤمنين جعلوا جميع حبهم لله وحده وأولئك جعلوا بعض حبهم له وأشركوا بينه وبين الأنداد في الحب ومعلوم ان ذلك أفضل . قال الله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا)[2] الآية . واسم المحبة فيه اطلاق وعموم فان المؤمن يحب الله ويحب رسله وأنبياءه وعباده المؤمنين وان كان ذلك من محبة الله وان كانت المحبة التى لله لايستحقها غيره فلهذا جاءت محبة الله مذكورة بما يختص به سبحانه من العبادة والانابة اليه والتقبل له ونحو ذلك فكل هذه الأسماء تتضمن محبة الله سبحانه وتعالى ثم انه كما بين ان محبته أصل الدين فقد بين ان كمال الدين بكمالها ونقصه بنقصها فان النبى صلى الله عليه وسلم قال « رأس الأمر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله» فاخبر ان الجهاد ذروة سنام العمل وهو أعلاه وأشرفه. وقد قال تعالى (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله)[3] الى قوله (أجر عظيم)[4] والنصوص في فضائل الجهاد وأهله كثيرة . وقد ثبت انه أفضل ماتطوع به العبد. والجهاد لازم المحبة الكاملة. قال تعالى (قل ان كان اباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم)[5] الآية . وقال تعالى فى صفة المحبين المحبوبين (ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)[6] فان المحبة مستلزمة للجهاد ولان المحب يحب

١ ـ البقرة ١٦٥
٢ ـ الزمر ٢٩
٣ ـ التوبة ١٩
٤ ـ التوبة ٢٢
٥ ـ التوبة ٢٤
٦ ـ المائدة ٥٤

ما يحب محبوبه ويبغض مايبغض محبوبه ويوالى من يوالى محبوبه ويعادى من يعاديه ويرضى لرضاه ويغضب لغضبه ويأمر بما يأمر به وينهى عما ينهى عنه فهو موافق في ذلك وهؤلاء هم الذين يرضى الرب لرضاهم ويغضب لغضبهم اذ هم انما يرضون لرضاه ويغضبون لما يغضب له كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر في طائفة فيهم صهيب وبلال « لعلك أغضبتهم لان كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك فقال لهم ياأخوتى هل أغضبتكم قالوا لايغفر الله لك ياأبا بكر » وكان قد مر بهم أبو سفيان ابن حرب فقالوا ماأخذت السيوف مأخذها فقال لهم أبوبكر أتقولون هذا لسيد قريش وذكر أبو بكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له ماتقدم لان أولئك انما قالوا ذلك غضبا لله لكمال ماعندهم من الموالاة لله ورسوله والمعاداة لاعدائه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح فيما يروى عن ربه « لايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبي يمشى ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولابد له منه » فبين انه يتردد لان التردد تعارض ارادتين وهو سبحانه يحب مايحب عبده ويكره مايكرهه وهو يكره الموت فهو يكرهه كما قال وانا أكره مساءته وهو سبحانه قد قضي بالموت فهو يريد ان يموت فسمى ذلك تردد اثم بين انه لابد من وقوع ذلك وهذا انحاد فى المحبوب والمرضى المأمور به والمبغض المكروه المنهى عنه

وقد يقال انه اتحاد نوعى وصفي وليس ذلك اتحاد النوعين فان ذلك ممتنع والقائل به كافر وهو قول النصارى والغالية من الرافضة والنساك كالحلاجية ونحوهم وهو الاتحاد المقيد في شى بعينه . وأما الاتحاد المطلق الذى هو قول أهل وحدة الوجود والذين يزعمون ان وجود المخلوق هو عين وجود الخالق فهذا تعطيل للصانع وجحود له وهو جامع لكل شرك فكما ان الاتحاد نوعان فكذلك الحلول نوعان قوم يقولون بالحلول المقيد فى بعض الأشخاص وقوم يقولون بحلوله في كل شىء وهم الجهمية الذين يقولون ان ذات الله في كل مكان . وقد يقع لبعض المعطلين من أهل الفناء في المحبة أنه يغيب بمحبوبه عن نفسه وحبه ويغيب بمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته وبموجوده عن وجوده حتى لا يشهد الا بمحبوبه فيظن في زوال تمييزه ونقص عقله وسكره انه هو محبوبه كما قيل ان محبوبا وقع في اليم فالقى المحب نفسه خلفه فقال أنا وقعت فانت ما الذى أوقعك فقال غبت بك عنى فظننت انك أنا فلا ريب ان هذا خطأ وضلال لكن ان كان هذا لقوة المحبة والذكر من غير أن يحصل عن سبب محظور زال به عقله كان معذوراً فى زواله فلا يكون مؤاخذا بما يصدر منه من الكلام فى هذه الحال التي زال فيها عقله بغير سبب محظور كما قيل فى عقلاء المجانية انهم قوم آتاهم الله عقولا وأحوالا فسلب عقولهم وأبقى أحوالهم وأسقط ما فرض بما سلب وأما اذا كان السبب الذى به زوال العقل محظورا لم يكن السكران معذورا وان كان لايحكم بكفره في أصح القولين كما لا يقع طلاقه في اصح القولين وأن كان الزرع في (١) مشهور قد بسطنا

(١) هكذا الاصل فينظر

الكلام فى هذا وفيمن يسلم له حاله ومن لا يسلم في قاعدة ذلك وبكل حال فالفناء الذى يفضى بصاحبه الى مثل هذا حال ناقص وان كان صاحبه غير مكلف ولهذا لم يرد مثل هذا على الصحابة الذين هم أفضل الأمة ولا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان كان لهؤلاء في صعق موسى نوع تعلق وانما حدث زوال العقل عند الواردات الالهية على بعض التابعين ومن بعدهم وان كانت المحبة تامة موافقة لمحبة المحبوب فى محبوبه ومكروهه في هذه الأمة وولايته وعداوته فمن المعلوم ان من أحب الله المحبة الواجبة فلا بد أن يبغض اعداءه ولا بد ان يحب مايحبه من جهادهم كما قال تعالى (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) والمحب التام لا يؤثر فيه لوم اللائم وعذل العاذل بل ذلك يعرفه بملازمة المحبة كما قد أكثر الشعراء في ذلك وهؤلاء هم اهل الملام المحمود وهم الذين لا يخافون من يلومهم على ما يحب الله ويرضاه من جهاد اعدائه فان الملام على ذلك كثير واما الملام على فعل ما يكرهه الله أو ترك ما أحبه فهو لوم بحق وليس من ذلك المحمود الصبر على هذا الملام بل الرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل وبهذا يحصل الفرق بين الملامة على ما يحبه الله ورسوله ولا يخافون لومة لائم في ذلك وبين الملامية الذين يفعلون ما يبغضه الله ورسوله ويصبرون على الملام في ذلك ☆

فصل

١ - الصف ٤

واذا كانت المحبة اصل كل عمل دينى فالخوف والرجاء وغيرهما يستلزم المحبة ويرجع اليها فان الراجي الطامع انما يطمع فيما يحبه لا فيما يبغضه

والخائف يفر من الخوف لينال المحبوب. قال تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) الآية. وقال (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله) ورحمته اسم جامع لكل خير. وعذابه اسم لكل شر. ودار الرحمة الخالصة هي الجنة ودار العذاب الخالص هي النار وأما الدنيا فدار استدراج فالرجاء وإن تعلق بدخول الجنة فالجنة اسم جامع لكل نعيم وأعلاه النظر الى وجه الله كما في صحيح مسلم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون ما هو ألم تبيض وجوهنا ألم تثقل موازيننا وتدخلنا الجنة وتنجينا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما أعطاهم شيئاً أحب اليهم من النظر اليه» وهو الزيادة ومن هنا يتبين زوال الاشتباه في قول من قال ما عبدتك شوقا الى جنتك ولا خوفا من نارك وانما عبدتك شوقا الى رؤيتك فان هذا القائل ظن هو ومن تابعه ان الجنة لا يدخل في مسماها الا الأكل والشرب واللباس والنكاح والسماع ونحو ذلك مما فيه التمتع بالمخلوقات كما يوافق على ذلك من ينكر رؤية الله من الجهمية أو من يقر بها ويزعم انه لا يتمتع في نفس رؤية الله كما يقوله طائفة من المتفقهة فهؤلاء متفقون على ان مسمي الجنة والآخرة لا يدخل فيه الا التمتع بالمخلوقات ولهذا قال بعض من غلط من المشائخ لما سمع قوله (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) قال فأين من يريد الله وقال آخر (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنة) قال اذا كانت النفوس والاموال

١ ـ الاسراء ٥٧
٢ ـ البقرة ٢١٨
٣ ـ آل عمران ١٥٢
٤ ـ التوبة ١١١

بالجنة فاين الناظر و نااليه وكل هذا الظنهم ان الجنة لا يدخل فيها النظر والتحقيق ان الجنة هي الدار الجامعة لكل نعيم وأعلى ما فيها النظر الى وجه الله وهو من النعيم الذى ينالونه فى الجنة كما أخبرت به النصوص وكذلك أهل النار وانهم محجوبون عن ربهم يدخلون النار مع أن هذا قائل القول اذا كان عارفا نما يقول فانما قصده انك لو لم تخلق نارا و تخلق جنة لكان يجب ان تعبد ويجب التقرب اليك كما قال عمر رضى الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه أى هو لم يعصه ولو لم يخفه فان اجلاله واكرامه لله يمنعه من معصيته. والراجى الخائف اذا تعلق خوفه ورجاؤه بالتعذب باحتجاب الرب عنه والتنعم بتجليه فمعلوم ان هذا من أنواع محبته له فالمحبة هى اوجبت محبته بالتجلى والخوف من الاحتجاب. وان تعلق خوفه ورجاؤه بالتعذب بمخلوق والتنعم به فهذا انما يطلب ذلك بعبادة الله محبته لله وحدها أحلى من كل محبة ولهذا يكون اشتغال أهل الجنة بذلك أعظم من كل شيء كما في الحديث ان اهل الجنة يلهمون التسبيح كما تلهمون وهو يبين غاية نفعهم بذكر الله ومحبته. فالخوف من التعذب بمخلوق والرجاء له يسوقه الى محبة الله التي هي الاصل و هذا كله ينبنى على اصل المحبة فيقال قد نطق الكتاب والسنه بمحبة العباد المؤمنين كما في قوله (والذين آمنوا أشد حبا لله)[1] وقوله (يحبهم ويحبونه)[2] وقوله (أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله)[3] وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وأن يكره ان يرجع في الكفر بعد ان أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في

١ ـ البقرة ١٦٥
٢ ـ المائدة ٥٤
٣ ـ التوبة ٢٤

النار » بل محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت بمحبة الله كما في قوله (أحب اليكم من الله ورسوله) وكما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال «والذى نفسى بيده لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين» وفي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب انه قال «والله يارسول الله لانت أحب الى من كل شيء الا من نفسي فقال لا ياعمر حتى أكون أحب اليك من نفسك فقال والله لانت أحب الى من نفسى» وكذلك محبة صحابته وقرابته كما في الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال «آية الايمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الانصار» وقال «لايبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر» وقال على رضى الله عنه «انه لعهد النبي الامى الى ان لا يحبنى الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق» وفي السنن انه قال للعباس «والذى نفسى بيده لايدخلون الجنة حتى يحبونكم لله ولقرابتى» يعنى بنى هاشم وقد روى حديث عن ابن عباس مرفوعا انه قال «احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى بحب الله وأحبوا اهل بيتى لاجلى(١)»

وأما محبة الرب لعبده فقال تعالى (واتخذ الله ابراهيم خليلا) وقال تعالى (يحبهم ويحبونه) وقال (وأحسنوا ان الله يحب المحسنين) (وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) (فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين) (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين) (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) (بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين) وأما محبة الاعمال التي يحبها الله

١ ـ التوبة ٢٤
٢ ـ النساء ١٢٥
٣ ـ المائدة ٥٤
٤ ـ البقرة ١٩٥
٥ ـ الحجرات ٩
٦ ـ التوبة ٤
٧ ـ التوبة ٧
٨ ـ الصف ٤
٩ ـ آل عمران ٧٦

(١) الحديث رواه الترمذى والحاكم

الواجباب والمستحبات الظاهرة والباطنة فكثيرة معروفة وكذلك حبهم لله وهم المؤمنون أولياء الله المتقون وهذه المحبة كما نطق بها الكتاب والسنة والذى عليه سلف الامة وأئمتها وأهل السنة والحديث وجميع مشائخ الدين وأئمة التصوف أن الله محبوب لذاته محبة حقيقه بل هى اكمل محبة فانها كما قال تعالى (والذين آمنوا أشد حبا لله) وكذلك هو سبحانه يحب ما يحب عباده المؤمنون وماهو فى الله محبة حقيقة. وأنكر الجهمية حقيقة المحبة من الطرفين زعما منهم أن المحبة لاتكون الا مناسبة بين المحب والمحبوب وأنه لامناسبة بين القديم والمحدث توجب محبته وقاسوا به المحبة وكان أول من أحدث هذا في الاسلام الجعد بن درهم فى أوائل المائة الثالثة فضحى به خالد بن عبدالله القشيرى أمير العراق والمشرق بواسط خطب الناس يوم الاضحى فقال أيها الناس ضحوا يقبل الله ضحاياكم فانى مضح بالجعد بن درهم أنه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما ثم نزل فذبحه فكأنه قد أخذ هذا المذهب عن الجعد بن صفوان فأظهره عليه واليه أضيف قول الجهمية فقتله مسلم بن أحوز أمير خراسان بها ثم نقل ذلك الى المعتزلة عمرو بن عبيد وأظهر قولهم في زمن الخليفة الملقب بالمأمون حتى أمتحن أئمة الاسلام ودعوا الى الموافقة لهم على ذلك . وأصل هذا مأخوذ عن المشركين والصابئة من البراهمة والمتفلسفة ومبتدعة أهل الكتاب الذين يزعمون أن الرب ليس له ثبوتية أصلا وهؤلاء هم أعداء ابراهيم الخليل عليه السلام وهم يعبدون الكواكب ويبنون الهياكل في المعقول والنجوم وغيرهما وهم ينكرون في الحقيقة أن يكون ابراهيم خليلا وموسى كليما وأن الخلة

١ - البقرة ١٦٥

هى كمال المحبة المستغرقة للحب كما قيل .

قد تخللت مسلك الروح منى ✡ وبذا سمى الخليل خليـلا

ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيح عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «لو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولـكن صاحبكم خليل الله» يعني نفسه . وفي رواية « انى أبرأ الى كل خليل من خلته ولو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا » وفى رواية « ان الله اتخذنى خليـلا كما اتخذ ابراهيم خليلا » فبين صلى الله عليه وسلم أنه لا يصلح له أن يتخذ من المخلوقين خليلا وأنه لو يكون ذلك لـكان أحق الناس بها أبا بكر الصديق رضى الله عنه مع أنه صلى الله عليه وسلم قد وصف نفسه بأنه يحب أشخاصا كما قال لمعاذ « انى لأحبك » وكذلك قوله للانصار وكان زيد بن حارثة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ابنه أسامة حبه وأمثال ذلك ✡ وقال عمرو ابن العاص « أي الناس أحب اليك قال عائشة قال فمن الرجال قال أبوها » . وقال لفاطمة رضى الله عنها « ألا تحبين ما احب قالت بلى قال فاحبى عائشة » وقال للحسن « اللهم انى أحبه فأحبه وأحب من يحبه . وأمثال هذا كثير فوصف نفسه بمحبة الاشخاص وقال « انى ابرأ الى كل خليل من خلته ولو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لا تخذت أبا بكر خليلا » فعلم أن الخلة أخص من مطلق المحبـة بحيث هى من كمالها وتخللها المحب يكون المحبوب بها محبوبا لذاته لا لشىء آخر والمحبوب لشىء غيره هو موجب في المحبـة عن ذلك الغير (١) ومن كمالها لا تقبل الشركة المتزاحمـة

(١) هكذا الاصل ولم يكن لدينا غير هذه النسخة وهي سقيمة جداً فتنبه

لتخللها الحب ففيها كمال التوحيد وكمال الحب * ومن الخلة أيضا تنافي المزاحمة وتقدم الغير بحيث يكون المحبوب محبوبا لذاته لا يزاحمه فيها غيره وهذه محبة لا تصلح الا لله فلا يجوز ان يشركه غيره فيما يستحقه وهو محبوب لذاته وكل مايحب غيره اذا كان محبوبا بحق فانما يحب لاجله وكل ما أحب لغيره فمحبته باطلة في الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الاماكان لله تعالى. فاذا كانت الخلة كذلك فمن المعلوم ان من انكر ان يكون الله محبوبا لذاته ينكر مخاللته. وكذلك ايضا ان انكر محبته لاحد من عباده فقد انكر ان يتخذه خليلا بحيث يحب الرب العبد على اكمل ما يصلح للعبادة . وكذلك تكليمه لموسى انكروه لانكارهم ان يكون به صفة من الصفات او فعل من الافعال فكما ينكرون ان يتصف بحياة او قدرة أو علم او ان يستوى أو أن يجيء فكذلك ينكرون ان يتكلم او يكلم فهذا حقيقة قولهم (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم) لكن لما كان الاسلام ظاهرا والقرآن متلوا لا يمكن جحد من اظهر الاسلام أخذوا يلحدون في اسماء الله ويحرفون الكلم عن مواضعه فتأولوا محبة العباد له بمجرد محبتهم لطاعته والتقرب اليه وهذا جهل عظيم فان التقرب اليه تابع لمحبته وفرع عليه فمن لا يحب الشيء لا يمكن ان يحب التقرب اليه اذ التقرب وسيلة ومحبة الوسيلة تبع لمحبة المقصود فيمتنع ان تكون الوسيلة الى المحبوب دون الشيء المقصود بالوسيلة. وكذلك العبادة والطاعة اذا قيل في المطاع المعبود ان هذا يحب طاعته وعبادته فان محبته ذلك تبع لمحبته والا فمن لا يحب لا يحب طاعته وعبادته ومن كان لا يعمل لغيره الا لعوض يناله منه او لدفع عقوبة فانه يكون معاوضا له او مفتديا منه

١ - البقرة ١١٨

ولايكون محبا له .ولايقال ان هذايحبه.وتفسير ذلك محبته طاعته وعبادته فان محبة المقصود ان استلزمت محبة الوسيلة أو غير محبة المقصود عن(١) محبة الوسيلة فان ذلك يقتضى ان يعبر بلفظين محبة العوض والسلامة عن محبة العمل أما محبة الله فلا تعلق لها بمجرد محبة العوض الا ترى ان من استأجر اجيرا بعوض لا يقال ان الاجير يحبه بمجرد ذلك بل قد يستأجر الرجل من لا يحبه بحال بل من يبغضه وكذلك من افتدى نفسه بعمل من عذاب معذب لا يقال انه يحبه بل يكون مبغضا له فعلم أن ما وصف الله به من عباده المؤمنين من أنهم يحبونه يمتنع ان يكون معناه بمجرد محبة العمل الذى ينالون به بغض الأغراض المحبوبة من غير ان يكون ربهم محبوبا لا يحب اصلا . وأيضا فلفظ العبادة متضمن للمحبة مع الذل كما تقدم ولهذا كانت محبة القلب للبشر على طبقات . احدها العلاقة فهو تعلق القلب بالمحبوب.ثم الصبابة وهو انصباب القلب اليه. ثم الغرام وهو الحب اللازم. ثم العشق وآخر المراتب هو التيم وهو التعبد للمحبوب والمتيم المعبود وتيم الله عبد الله فان الحب يبقي ذاكرا معبداً مذللا لمحبوبه وايضا فاسم الانابة اليه يقتضى المحبة ايضا وما أشبه ذلك من الاسماء كما تقدم وايضا فلو كان الذى قالوه حقا لكان ذلك مجازا لما فيه من الحذف والاضمار والمجاز لا يطلق الا بقرينة تبين المراد ومعلوم ان في كتاب الله وسنة رسوله ما ينفى أن يكون الله محبوبا وان لا يكون محبوبا الا بالأعمال في الدلالة المتصلة ولا المنفصلة ولا في العقل أيضا فمن علامات المجاز صحة اطلاق نفسه فيجب ان

(١) هكذا الاصل والمعنى ظاهر الا ان التركيب ركيك

يصح اطلاق القول بان الله لا يحب ولا يحب كما اطلق امامهم الجعد بن درهم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما وان هذا ممتنع باجماع المسلمين فعلم دلالة الاجماع على ان هذا ليس اجماعا بل هي حقيقة وايضا فقد فرق بين محبته ومحبة العمل له في قوله (احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله) كما فرق بين محبته ومحبة رسوله في قوله (أحب اليكم من الله ورسوله) فلو كان المراد بمحبته ليس محبة الاصل لكان هذا تكريرا ومن باب الخاص على العام وكلاهما على خلاف ظاهر الكلام الذي لا يجوز المصير اليه الا بدلالة تبين المراد .وكما ان محبته لا يجوز ان تفسر بمحبة رسوله فكذلك لا يجوز تفسيرها بمجرد محبة العمل وان كانت محبته تستلزم محبة رسوله ومحبة العمل له وايضا فالتعبير بمحبة الشيء عن مجرد محبة طاعته لا عن محبة نفسه امر لا يعرف في اللغة حقيقة ولا مجاز افحمل الكلام عليه تحريف محض .وقد قررنا في موضع من القواعد الكبار انه لا يجوز ان يكون غير الله محبوبا مراداً لذاته كما لا يجوز ان يكون غير الله موجودا بذاته بل لا رب الا الله ولا اله غيره والاله هو المعبود الذي يستحق ان يحب لذاته ويعظم لذاته كمال المحبة والتعظيم وكل مولود يولد على الفطرة فانه سبحانه فطر القلوب على ان ليس في محبوباتها ومراداتها ما تطمئن اليه الا الله وحده وان كل ما أحبه المحبوب فمطعوم وملبوس ومنظور ومشموس يحب من نفسه وان قلبه يطلب سواه ويحب أمراً غيره يتألهه ويصمد اليه ويرى مايشبهه من هذه الاجناس ولهذا قال الله تعالى في كتابه (٢ ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وفي الصحيح عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله قال «اني خلقت عبادي حنفآء فاجتالتهم الشياطين وحرمت

١ ـ التوبة ٢٤
٢ ـ الرعد ٢٨

عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم ان يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا» كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم «انه قال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم» وايضا فكل ما فطرت القلوب على محبته من نعوت الكمال فالله هو المستحق لكل الكمال وكل ما في غيره من محبوب فهو منه سبحانه وتعالى فهو المستحق لان يحب على الحقيقة والكمال وانكار محبة العبد لربه هو في الحقيقة انكار ان يكون الها معبودا كما ان انكار محبته لعبده يستلزم انكار مشيئته وهو يستلزم انكار كونه رباخالقا فصار انكارها مستلزما لانكار كونه رب العالمين ولكونه اله العالمين وهذا قول اهل التعطيل والجحود ولهذا اتفقت الأمتان قبلنا على ما عندهم من أمور وأحكام موسى وعيسى ان أعظم الوصية التي أتانا بها موسى أن تحب الله بكل قلبك وعقلك وهو حقيقة الحنيفية التي هي ملة ابراهيم التي هي أصل في التوراة والانجيل والقرآن وانكار ذلك هو مأخوذ من مقال الصابئين أعداء ابراهيم الخليل ومن وافقهم على ذلك من متفلسف أو متكلم أو متفقه أخذ عن هؤلاء وظهر ذلك في القرامطة الباطنية من الاسماعيلية ولهذا قال الخليل امام الحنفاء (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لي[1] الا رب العالمين) وقال أيضا (لا أحب الآفلين[2]) وقال تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم[3]) وهو السليم من الشرك. وأما قولهم انه لا مناسبة بين المحدث والقديم توجب محبته له ويمنعه بالنظر اليه فهذا

١ - الشعراء ٧٥ - ٧٧
٢ - الأنعام ٧٦
٣ - الشعراء ٨٨ - ٨٩

الـكلام مجمل فان أرادوا بالمناسبة أنه ليس بوالد فهذا حق وان أرادوا أنه ليس بينهما من المناسبة ما بين الناكح والمنكوح والآكل والمأكول ونحو ذلك فهذا أيضا حق وان أرادوا نه لا مناسبة بينهما توجب أن يكون أحدهما محباً عابداً والآخر معبوداً محبوباً فهذا هو رأس المسألة والاحتجاج به مصادرة على المطلوب ويكفى في ذلك المنع . ثم يقال بل لا مناسبة تقتضي المحبة الـكاملة الا المناسبة التي بين المخلوق والخالق الذى لا اله غيره الذى هو في السماء اله وفي الأرض اله وله المثل الأعلى في السموات والأرض . وحقيقة قول هؤلاء أنهم جحدوا كون الله معبودا في الحقيقة ولهذا وافق على هذه المسألة طوائف من الصوفية المتكلمين الذين ينكرون أن يكون الله محبا في الحقيقة فأقروا بكونه محبوبا ومنعوا كونه محبا لانهم تصوفوا مع ما كانوا عليه من قول أولئك المتكلمة فأخذوا عن الصوفية مذهبهم في المحبة فأما محبة الرب عبده فهم لها أشد إنكارا . ومنكروها قسمان . قسم يتأولونها بنفس المعقولات التى يحبها العبد فيجعلون محبته نفس خلقه وقسم يجعلونها نفس ارادته لتلك المعقولات وقد بسطنا الـكلام في ذلك في قواعد الصفات والقدر فليس هذا موضعها . ومن المعلوم أنه قد دل الـكتاب والسنة واتفاق الامة على أن الله يحب ويرضي ما أمر بفعله من واجب ومستحب وان لم يكن ذلك موجوداً على أنه قد يريد وجود أمور يبغضها من الاعيان والافعال كالفسق والكفر وقد قال الله تعالى (والله لا يحب الفساد) وقال تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) والمقصود هنا انما هو في ذكر محبة الله ☆

١ - البقرة ٢٠٥
٢ - الزمر ٧

وقد تبين أن ذلك هو أصل أعمال الايمان ولم يتبين بين

أحد من سلف الامة من الصحابة والتابعين لهم باحسان نزاع فى ذلك وكانوا يحركون هذه المحبة بما شرع الله أن يحرك به من أنواع العبادات الشرعية كالعرفان الايماني والسماع الفرقاني، قال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان) الى آخر السورة ثم انه لما طال الأمد صار فى طوائف المتكلمة من المعتزلة وغيرهم من ينكر هذه المحبة. وصار فى بعض المتصوفة من ينكر ان يطلب تحريكها بانواع من سماع الحديث كالتغبير (١) وسماع المكاء والتصدية فيسمعون من الاقوال والأشعار مافيه تحريك جنس الحب الذى يحرك من كل قلب مافيه من الحب بحيث يصلح لحب الأوتار والغلمان والاخوان والأوطان والاردان والنسوان كما يصلح لحب الرحمان ولكن كان الذين يحضرونه من الشيوخ يشترطون له المكان والامكان والخلان وربما اشترطوا له الشيخ يحرس به من الشيطان ثم توسع فى ذلك غيرهم حتى خرجوا فى ذلك الى نوع من المعاصى بل الى نوع من الفسوق بل خرج فيه طوائف الى الكفر الصريح بحيث يتواجدون على انواع من الاشعار التى فيها الكفر والالحاد مما هو من أعظم أنواع الفساد وينتج ذلك لهم من الاحوال بحسبه كما ينتج لعباد المشركين وأهل الكتاب عباداتهم بحسبها والذى عليه محققوا المشائخ انه كما قال الجنيد رحمه الله فمن تكلف السماع فتن به ومن صادفه استراح به ومنع ذلك أنه لا يشرع الاجتماع لهذا السماع المحدث ولا يؤمر به ولا يتخذ دينا

١ - الشورى ٥٢

(١) ذكر الحافظ ابو الفرج ابن الجوزى في كتابه تلبيس ابليس ان المغيرة قوم يغيرون ذكر الله بدعاء وتضرع وقد سموا مايطربون فيه من الشعر في ذكر الله عزوجل تغييرا . وقال كان الشافعي يكره التغبير اه وفى تركيب الكلام هنا من الخفاء مايتنبه له

وقربة وأن القرب والعبادات انما تؤخذ عن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم فكما انه لاحرام الا ما حرمه الله لادين الا ماشرعه الله . قال الله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) ولهذا قال (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) فجعل محبتهم لله موجبة لمتابعة رسوله وجعل متابعة رسوله موجبة لمحبة الله لهم قال أبي ابن كعب رضى الله عنه عليكم بالسبيل والسنة فانه ما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله فاقشعر جلده من مخافة الله الا تحاتت خطاياه كما يتحات الورق اليابس عن الشجرة وما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من مخافة الله الا لم تمسه النار ابدا وان اقتصادا فى سبيل وسنة خير من اجتهاد في غير سبيل وسنة فاحرصوا ان تكون اعمالكم اقتصادا واجتهادا على منهاج الانبياء وسنتهم وهذا مبسوط في غير هذا الموضع فلو كان هذا مما يؤمر به ويستحب وتصلح به القلوب للمعبود والمحبوب لكان ذلك مما دلت الأدلة الشرعية عليه ومن المعلوم انه لم يكن في القرون الثلاثة المفضلة التى قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم «خير القرون قرنى الذى بعثت فيه ثم الذى يلونهم ثم الذى يلونهم» لا في الحجاز ولا في الشام ولا في اليمن ولا فى العراق ولا في مصر ولا في خراسان احد من اهل الخير والدين يجمع على السماع المبتدع لصلاح القلوب ولهذا كرهه الامام احمد وغيره وعده الشافعى من احداث الزنادقة حين قال خلفت ببغداد شيئا أحدثه الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن. وأما مالا يقصده الانسان من الاستماع لايترتب عليه نهى ولا ذم باتفاق الائمة ولهذا انما

١ - الشورى ٢١
٢ - آل عمران ٣١

يترتب الذم والمدح على الاستماع لا على السماع فالمستمع للقرآن يثاب عليه والسامع له من غير قصد لا يثاب على ذلك اذ الاعمال بالنيات. وكذلك ماينهى عن استماعه من الملاهي لو سمعه السامع بدون قصد لم يضره ذلك فلو استمع السامع بيتا يناسب بعض حاله تحرك سا كنه المحمود وازعج قاطنه المحبوب او بمثل ذلك ونحو ذلك لم يكن ذلك مما ينهى عنه وان كان المحمود الحسن حركة قلبه التي يحبها الله ورسوله الى التي تتضمن فعل مايحبه الله وترك مايكرهه كالذى اجتاز ببيت فسمع قائلا يقول *كل يوم تتلون* غير هذا بك أجمل ☆ فاخذ منه اشارة تناسب حاله فان الاشارة من باب القياس والاعتبار وضرب الامثال ومسألة السماع كبيرة منتشرة قد تكلمنا عليها في غير هذا الموضع والمقصود ههنا ان المقاصد المطلوبة للمريدين تحصل بالسماع الايمانى القرانى النبوي الديني الشرعي الذى هو سماع النبيين وسماع العالمين وسماع العارفين وسماع المؤمنين. قال الله تعالى (أولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم[١]) الى قوله (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا[٢]) وقال تعالى (ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً[٣]) الى قوله (ويزيدهم خشوعا[٤]) وقال تعالى (واذا سمعوا ماانزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق[٥]) وقال تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا[٦]) الآية وقال تعالى (الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم[٧]) الآية وكما مدح المقبلين على هذا السماع فقد ذم المعرضين عنه في مثل قوله (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا[٨]) الى قوله (واذا

١ - مريم ٥٨
٢ - مريم ٥٨
٣ - الاسراء ١٠٧
٤ - الاسراء ١٠٩
٥ - المائدة ٨٣
٦ - الأنفال ٢
٧ - الزمر ٢٣
٨ - لقمان ٦

تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها[١] الآية. وقال تعالى (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) وقال تعالى (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم[٢]) الآية. وقال تعالى (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) وقال تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة[٣]) ومثل هذا كثير فى القرآن وهذا سماع سلف الأمة واكابر مشائخها وائمتها كالصحابة والتابعين ومن بعدهم من المشائخ كابراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض وابى سليمان الدارانى ومعروف الكرخى ويوسف بن أسباط وحذيفة المرعشى وامثال هؤلاء. وكان عمر بن الخطاب يقول لابى موسى الأشعرى يا ابا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يسمعون ويبكون. وكان أصحاب محمد اذا اجتمعوا امر واحدا منهم ان يقرأ القرآن والباقى يستمعون. وقد ثبت فى الصحيح «ان النبى صلى الله عليه وسلم مر بابى موسى الأشعرى وهو يقرأ فجعل يستمع لقراءته وقال لقد أوتى هذا مزمارا من مزامير داود فقال مررت بك البارحة وأنت تقرأ فجعلت استمع لقراءتك فقال لو علمت انك تسمع لحبرتك تحبيرا» اى لحسنته لك تحسينا وقال «زينوا القرآن باصواتكم» وقال «الله اشد اذنا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته» اذنا اى استماعا كقوله (وأذنت لربها وحقت[٤]) اى استمعت وقال صلى الله عليه وسلم «ما اذن الله لشىء ما اذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به» وقال «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» ولهذا السماع من المواجيد العظيمة والأذواق الكريمة ومزيد المعارف والأحوال الجسيمة مالا يسعه خطاب ولا يحويه كتاب كما ان فى تدبر القرآن وتدبر بيانه تفهمه من مزيد العلم

١ ـ لقمان ٧
٢ ـ الفرقان ٧٣
٣ ـ الأنفال ٢٣
٤ ـ فصلت ٢٦
٥ ـ المدثر ٤٩ ـ ٥٠
٦ ـ الانشقاق ٢

والايمان مالا يحيط به بيان. ومما ينبغي التفطن له ان الله سبحانه قال في كتابه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) قال طائفة من السلف ادعى قوم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فانزل الله هذه الآية (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) الآية. فبين سبحانه ان محبته توجب اتباع الرسول وان اتباع الرسول يوجب محبة الله للعبد وهذه محبة امتحن الله بها أهل دعوى محبة الله فان هذ الباب يكثر فيه الدعاوى والاشتباه ولهذا يروى عن ذى النون المصرى انهم تكلموا فى مسئلة المحبة عنده فقال اسستواعن هذه المحبة لانسمعها النفوس فتدعيها. وقال بعضهم من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبد الله بالخوف وحده فهو خارجي ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجيء ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد. وذلك لان مجرد دعواه تنبسط النفوس فيه حتى يتسع في اهوائها اذا لم يدعها وادعى الخشية لله حتى قالت النصارى (نحن ابناء الله واحباؤه) ويوجد في مدعي المحبة من مخالفة الشريعة مالا يوجد في اهل الخشية ولهذا قرن الخشية بها في قوله (هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود) وقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) فاتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته باطنا وظاهرا هى توجب محبة الله كما ان الجهاد فى سبيله وموالاة اوليائه ومعاداة اعدائه هو حقيقتها كما في الحديث «أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله» وفي الحديث «من احب لله وابغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل المحبة» وكثير من يدعي المحبة وهو أبعد من غيره عن اتباع السنة وعن

١ - آل عمران ٣١
٢ - المائدة ١٨
٣ - ق ٣٢ - ٣٤

الأمر بالمعروف وعن النهى عن المنكر والجهاد في سبيل الله ويدعى مع ذلك كمال طريق المحبة من غيره لزعمه ان طريق المحبة لله ليس فيه غيرة ولا غضب لله وهذا خلاف مادل عليه الكتاب والسنة ولهذا في الحديث المأثور «يقول الله تعالى يوم القيمة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لاظل الاظلى» فقوله اين المتحابون بجلال الله تنبيه على مافي قلوبهم من اجلال الله وتعظيمه والتحاب فيه وبذلك يكونون حافظين لحدوده دون الذين لايحفظون حدوده لضعف الايمان في قلوبهم وهؤلاء الذين جاء فيهم الحديث «حقت محبتى للمتحابين في وحقت محبتي للمتجالسين في وحقت محبتى للمتزاورين في وحقت محبتي للمتباذلين في» والاحاديث في المتحابين لله كثيرة وفي الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم من حديث أبى هريرة «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل الا ظله شاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يرجع اليه ورجلان تحابا في الله واجتمعا وتفرقا عليه ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لاتعلم شماله ما انفقت يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات نسب وجمال فقال انى اخاف الله رب العالمين» وأصل المحبة هو معرفة الله سبحانه وتعالى ولها أصلان احدهما وهو الذى يقال له محبة العامة لاجل احسانه الى عباده وهذه المحبة على هذا الاصل لاينكرها احد فان القلوب مجبولة على حب من أحسن اليها وبغض من اساء اليها والله سبحانه هو المنعم المحسن على عبده بالحقيقة فانه المتفضل بجميع النعم وان جرت بواسطة اذ هو ميسر الوسائط ومسبب الأسباب لكن هذه المحبة اذا لم تجذب القلب الى محبة الله نفسه فما احب العبد في الحقيقة

الا نفسه وهذا ليس بمذموم بل محمود. وهذه المحبة هي المشار اليه بقوله «احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله واحبوا أهل بحبي» والمقتصر على هذه المحبة هو لم يعرف من جهة الله ان يحبه الا الاحسان اليه وهذا كما قالوا ان الحمد لله على نوعين. حمد هو شكر وذلك لا يكون الا على نعمه. وحمد هو ثناء عليه وهو مما يستحقه لنفسه سبحانه فكذلك الحب فان الأصل الثاني هو محبته لما هو أهل هذا حب من عرف من الله ما يستحق ان يحب لاجله وما من وجه من الوجوه التي يعرف بها مما دلت اسماؤه وصفاته الا وهو يستحق المحبة الكاملة من ذلك الوجه حتى جميع مفعولاته اذ كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل ولهذا استحق ان يكون محمودا على كل حال وهذا أعلى وأكمل وهذا حب الخاصة وهؤلاء هم الذين يطلبون لذة النظر الى وجهه الكريم ويتلذذون بذكره ومناجاته ويكون ذلك لهم أعظم من الماء للسمك لو انقطعوا عن ذلك لوجدوا من الألم ما لا يطيقون وهم السابقون كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال «مر النبي صلى الله عليه وسلم بجبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا يا رسول الله من المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» وفي رواية أخرى قال (المستهترون بذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة وهم خفافا» وفي حديث هارون بن عسرة عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «قال موسى يارب أي عبادك أحب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال أي عبادك أعلم قال الذي يطلب علم الناس الى علمه ليجد كلمة تدل على هدى أو ترده عن ردى قال أي عبادك أحكم

قال الذي يحكم على نفسه كالذى يحكم على غيره ويحكم لغيره كما يحكم لنفسه » فذكر في هذا الحب والعلم والعدل وذلك جماع الخير ومما ينبغى التفطن له أنه لا يجوز أن يظن فى باب محبة الله تعالى ما يظن في محبة غيره مما هو من جنس التجنى والهجر والقطيعة لغير سبب ونحو ذلك مما قد يغلط فيه طوائف من الناس حتي يتمثلون فى حبه بجنس ما يتمثلون به في حب من يصد ويقطع بغير ذنب أو يبعد من يتقرب اليه وان غلط في ذلك من غلط من المتمثلين في رسائلهم حتى يكون مضمون كلامهم اقامة الحجة على الله بل لله الحجة البالغة .وقد ثبت في الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « يقول الله تعالى من ذكرنى فى نفسه ذكرته في نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته في ملأ خير منه ومن تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن أتاني يمشى أتيته هرولة » وفي بعض الآثار يقول الله تعالى « أهل ذكرى أهل مجالستى وأهل شكري أهل زيارتى وأهل طاعتى أهل كرامتى وأهل معصيتي لا أيسهم من رحمتى وان تابوا فانا حبيبهم لان الله يحب التوابين وان لم يتوبوا فانا طبيبهم ابتليهم بالمصائب حتي اطهرهم من المعائب وقد قال تعالى (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) قيل الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره والهضم أن ينقص من حسنات نفسه. وقال تعالى (وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون) وفي الحديث الصحيح عن أبى ذر رضى الله عنه قال « يقول الله تعالى يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى اهدكم

١ - طه ١١٢
٢ - النحل ١١٨

يا عبادى عبادى كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى أكسكم ياعبادى انكم تذنبون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب ولا أبالى فاستغفرونى أغفر لكم ياعبادى انكم لم تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ياعبادى لو ان أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ياعبادى لو ان أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا ياعبادى انما هى أعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » وما رواه البخارى عن شداد بن اوس « قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربى لا اله الا أنت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ماصنعت ابؤ لك بنعمتك على وابوء بذنبى فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت من قالها اذا اصبح موقنا بها فمات في يومه دخل الجنة ومن قالها اذا أمسى موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة » فالعبد دائما بين نعمة من الله يحتاج فيها الى شكر وذنب منه يحتاج فيه الى الاستغفار وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائما فانه لا يزال يتقلب فى نعم من الله وآلائه ولا يزال محتاجا الى التوبة والاستغفار ولهذا كان سيد ولد آدم وامام المتقين يستغفر فى جميع الاحوال . وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه البخارى « ايها الناس توبوا الى ربكم فانى أتوب الى الله في اليوم مائة مرة » وقال عبد الله بن عمر « كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد يقول رب اغفر لى وتب على انك

أنت التواب الرحيم مائة مرة» وقال «انى لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم اثنين وسعين مرة» وفي صحيح مسلم «انه قال انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله في اليوم مائة مرة» ولهذا شرع الاستغفار في خواتيم الأعمال. قال تعالى (والمستغفرين بالأسحار[1]) وفي الصحيح «ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام» وقال تعالى (فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام[2]) الى قوله (واستغفروا الله ان الله غفور رحيم[3]) وقد أمر الله نبيه بعد ان بلغ الرسالة وجاهد في الله حق جهاده وأتى بما أمر الله به مما لم يصل اليه عمره فقال (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا[4]) ولهذا كان قوام الدين بالتوحيد والاستغفار كما قال الله تعالى (الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسناً[5]) الآية. وقال تعالى (فاستقيموا اليه واستغفروه[6]) وقال تعالى (فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات[7]) ولهذا جاء في الحديث «يقول الشيطان اهلكت الناس بالذنوب وأهلكونى بلا اله الا الله والاستغفار» وقال يونس (لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظلمين) وكان النبي صلى الله عليه وسلم «اذا ركب دابته يحمد الله ثم يكبر ثلاثاً ويقول لا اله الا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى» وكفارة المجلس التى كان يختم بها المجلس والوضوء «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك» والله أعلم وصلى الله على محمد وسلم.

١ - آل عمران ١٧
٢ - البقرة ١٩٨
٣ - البقرة ١٩٩
٤ - النصر ١ - ٣
٥ - هود ١ - ٣
٦ - فصلت ٦
٧ - محمد ١٩

تمت الرسالة والحمد لله

فهرست

(التحفة العراقية)

صفحة		صفحة	
٢	بيان أن الناس في الاعمال القلبية على ثلاث درجات كما هم في أعمال الأبدان على ثلاث درجات	١٤	حقيقة التوكل وغلط بعض العلماء فيه
٤	بيان أن العبد الزاهد قد يكون مسخوطا عند الله ورسوله لما في قلبه من بدعة ونفاق	١٦	بيان الارادة الدينية والارادة الكونية ومثالهما من الايات القرآنية
٤	الأمر بقتل الخوارج والمارقين من الدين كملحدى زماننا	١٧	العواقب التى خلق لها الناس سعادة وشقاوة ييسرون لها بالاعمال التى يصيرون بها الى ذلك كما أن سائر المخلوقات كذلك
٥	بيان أن من عمل بما علم آورثه الله علم ما لم يعلم	٢٠	بيان أولياء الله وغيرهم
٦	الصدق يستلزم البر والكذب يستلزم الفجور	٢١	الحرص على ماينفع العبد هو طاعة الله وعبادته
٨	الصدق والتصديق يكونان في الأقوال والأعمال	٢٢	تقسيم الناس الى أربعة أقسام
٩	أصل الدين في الحقيقة هو الامور الباطنة من العلوم والاعمال وأن الاعمال الظاهرة لاتنفع بدونها والدليل على ذلك	٢٤	القسم الرابع هو القسم المحمود وهو حال الذين حققوا اياك نعبد واياك نستعين وقوله فاعبده وتوكل عليه
١٠	فصل بيان أن محبة الله والاخلاص له والتوكل عليه والرضا عنه ونحو ذلك من الاعمال الباطنة كلها مأمور بها في حق الخاصة والعامة	٢٥	ترك الاسباب المأمور بها غلط فاحسن
١٢	بيان ماحق الله على العباد وحق العباد على الله	٢٧	ينبغى للانسان اذا ابتلى أن يصبر ويثبت ولا يكل حتى يكون من الرجال الموفين القائمين بالواجبات
١٣	التوكل والاستعانة للعبد هما الوسيلة والطريق الذى ينال به مقصوده ومطلوبه من العبادة	٢٨	تنازع العلماء والمشايخ فى الرضا بالقضاء هل هو واجب أو مستحب
		٢٩	ماجاء في مدح الصابرين من الآيات القرآنية
		٣١	الرضا والحمد على الضراء يوجبه شاهدان
		٣٢	تندفع عقوبة فعل السيئة بعشرة أسباب

صفحة		صفحة	
٣٣	من رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط	٤٩	زعم الجعد بن درهم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما والرد عليه
٣٤	تقسيم الناس الى أربعة أنواع بحسب الصبر وغيره	٥١	انكار الجهمية الصفات وتأويلهم المحبة الواردة في القرآن والسنة والرد عليهم
٣٥	فصل من أعظم واجبات الايمان وأكبر اصوله واجل قواعده محبة الله ورسوله	٥٤	كل مولود يولد على الفطرة
٣٧	حقيقة قول لااله الا الله	٥٥	كلام الصوفية في المحبة وما كان عليه الأقدمون منهم وما ابتدعه المتأخرون
٣٩	حديث من تشبه بقوم فهو منهم	٥٦	سماع مايحرك المحبة ومعنى التغبير والمغبرة
٤٠	النصارى واليهود يشبهون المخلوق بالخالق ومن ضاهاهم من الممثلة	٥٧	محبة الله موجبة لمتابعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم
٤١	اتباع الامة المحمدية الامم السالفة حذوا القذة بالقذة	٥٨	المقاصد المطلوبة للمريدين تحصل بالسماع الايماني القرآني النبوي الديني الشرعي الذي هو سماع النبيين والعارفين والمؤمنين
٤٢	صفة المحبين المحبوبين	٥٩	مشروعية تحسين الصوت في القرآن
٤٣	يحب الله مايحب عبده ويكره مايكرهه	٦٠	اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته باطنا وظاهرا توجب محبة الله
٤٤	الاتحاد نوعان نوعي ووصفي	٦١	حديث سبعة يظلهم في ظله يوم القيامة
٤٥	فصل في أن المحبة أصل عمل ديني فالخوف والرجاء وغيرهما يستلزم المحبة ويرجع اليها	٦٢	تقسيم حمد الله على نوعين
٤٨	حديث لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين	٦٤	كان النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر الله في اليوم مائة مرة

تم الفهرس

قد نبهت غير مرة أصحاب المطابع على خطئهم الناشىء من عدم الاعتناء والمبالاة في صنعتهم فلذلك لا يخلو كتاب أو رسالة من وقوع خطأ فيه .

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥	٩	وزادهم	زادهم
٨	١٥	صادقت	صادقة
٩	٩	وأولو	وأولوا
٩	١٤	بين وبين	بين والحرام بين
١٢	٢١	العباد	العبادة
١٤	٧	المباحاة	المباحات
٢١	٣	مطاعة	طاعة
٢٤	٣	واذ	وا ذا
٢٥	٢٠	الناس قد	الناس ان الناس قد
٣٣	١١	فائث	فأت
٤٧	٤	هذا قائل القول	قائل هذا القول
٤٨	١٧	يحت	يجب
٥٧	٧	السيل	السيل
٥٨	١٥	ويزيدبهم	ويزيدهم
٥٩	١٤	لجبرتهلك تجثيراً	لجبرتهلك تحيراً
٦٠	٢٠	قى	في
٦٣	١٤	وان تابوا	ان تابوا